بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة النيلين

كلية الدراسات العليا

قسم اللغة العربية

المجاز

في الجزء الأول والثاني من القرآن الكريم

رسالة لنيل درجة الماجستير

إعداد

وداد إبراهيم سعيد

إشراف

د. حسن الفضل علي

١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

(الرَّحمنُ عَلَّمَ القُرءَانَ خَلَقَ الإنسَانَ
عَلَّمَهُ البَيَانَ)

صدق الله العظيم

إلى من كانت كل شئ في حياتنا....

إلى من علمتنا الصبر والمثابرة والاجتهاد.

إلى من تمنيت أن تكون معي في هذه اللحظات التي كم تمنتها ..أمي الحبيبة ...

ولكن القدر كان أسرع اللهم أرحمها بقدر ما أعطتنا ..

وإلى كل من شغفه حب القرآن الكريم وجعله طريقا للفوز ..

وداد إبراهيم سعيد

شكر

قال تعالى : (ولئن شكرتم لأزيدنكم)

إن الله تعالى يحب الشكر ، فما بال العبد الضعيف ؟؟

الشكر كل الشكر إلى أستاذي الفاضل الدكتور حسن الفضل لما وجدته من سعة صدر ودماثة خلق مكنتني من كيفية التعامل معه ، حتى أنني وجدت إجابات لكل تساؤلاتي واستفساراتي غير المقيدة بزمن .

ثم الشكر موصول إلى أسرتي الكريمة زوجي ، أبنائي وأخوتي الكرام .

ثم الشكر أجزله لكل من ساهم في إخراج هذا العمل .

وداد إبراهيم سعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لقد راودتني منذ زمن فكرة الخوض في مضمار دراسة فنية لتفسير القرآن الكريم وعرض الصور البيانية التي إحتواها هذا الكتاب العظيم ، فكرست جهدي في البحث والتنقيب لربط تحليل الآيات القرآنية وبيان ما ذخرت به من أساليب بيانية وإبداعية بعلم البلاغة وفنونه وكان ذلك هو الهدف من الدراسة .

ثم عكفت على دراسة ما تحصلت عليه من كتب في هذا الشأن لعلي ارضي شغفي الشديد بهذه الدراسة ، فاستخلصت من تلك الكتب اليسير الذي كان عصارة جهدي المتواضع في منهجي الذي اتبعته وهو المنهج الاستقرائي التحليلي .

ولقد طلبت من المولى عزّ وجل ان يعينني على هذا الدراسة التي بدأتها بتطور علم البيان عند البلاغيين متدرجة بهؤلاء العظماء الذين ساهموا في ذلك منذ القرن الثاني الهجري وذلك توضيحاً لما طرأ على علم البلاغة من تطورات جمة.

وبدأتهم بشيخنا الجاحظ الذي له الفضل في وضع أساس علم البيان ثم تدرجت إلى من بعده من هؤلاء العمالقة فوجدتهم قد تأثروا به تأثراً واضحاً بالرغم من الزيادات والإضافات التي أضافوها من تبويب وتنظيم وذلك لتأثرهم بعلماء الفلسفة في زمانهم . وفي هذه الفترة نجد تأثرهم ببعض واضحاً إلى ان ظهر عبد القاهر الجرجاني الذي رفع قواعد علم البيان وأحكم بناءه وجعله العمود الفقري لعلم البلاغة لأنّه يعكس نجاح المبدع بروعة التصوير وعمق الخيال.

وفي بداية القرن السابع ظهر السكاكي الذي أتى برؤية جديدة وهي وضع أسس للتعبير الفني من بيان ومعانٍ وبديع . وتبين لنا أن علم البيان لم يكن محدداً في تلك الحقبة .

من ثم انتقلت إلى تتبع تطور مدلول المجاز فتطرقت إلى مفهوم المجاز عند علماء اللغة فوجدت أن هناك صلة ربط وثيقة بين اللغويين وقول البلاغيين مما دفعني إلى الحديث عن المفهوم الفني للمجاز عند علماء البلاغة وربطه بتفسير الآيات القرآنية ثم تدرجت بالدراسة إلى بداية القرن السابع وذلك ما نراه واضحاً عند شيخنا السكاكي الذي توقفت عنده كثيراً لدراسة هذه المدرسة الشاملة فتحدث عن المجاز وأنواعه ثم وضع الاستعارة بتقسيماتها وتحدث عن المجاز اللغوي والعقلي .

ولقد بينت في خلاصة الحديث ان هنالك صلة ربط وثيقة بين البلاغيين وعلماء اللغة في أن المجاز هو لفظ أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة كما توجد هناك علاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي سواء كانت المشابهة أم غيرها .

ومن ثم تناولت الدراسة التحليلية في الجزأين الأولين وبداية الجزء الثالث من القرآن الكريم من تفسير وتحليل للآيات وإظهار الصور البلاغية مستعرضة جمال التركيب وحسن السبك وجمال النظم وحسن البيان وذلك من إعجاز القرآن الكريم وصلاحيته لكل زمان ومكان .

ولقد واجهتني في هذا البحث كثير من الصعوبات والمشاكل التي اعترضت طريقي ولكنها سرعان ما تبددت بفضل الله .

ثم بدأت في البحث لكشف أسرار الكتاب العظيم ومقاصده و مضامينه متناولة الإسلوب المجازي في البلاغة العربية بالنظر إلى تفسير الآيات وإبراز هذه الصور التي تزيده جمالا وبهاء وتجعله مواكبا لكل

العصور وكل حسب فهمه ومقصده من الناحية العليمة والعملية حيث أنه الكتاب الشامل لتنظيم حياة الانسان عامة بما في ذلك من شرائع وسنن وقوانين تنظم حياته بين الأفراد والجماعات ، كما تنظم تعامله مع سائر المخلوقات في بيئته المحيطة به .

فكتاب الله تعالى هو المعين الذي لا ينضب لكل باحث حسب تخصصه ، وهو المتجدد في كل زمان ومكان وما نهلت منه فهو اليسير اليسير الذي لا يساوي قطرة من هذا النبع المتجدد .

وفي الختام أسأل الله عز وجل أن يجعل من هذا البحث استرواحاً لكل من شغفه حب القرآن وشغله إعجازه المتجدد ، فاللهم لك الحمد أولاً وأخيراً. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه وأمته وسلم تسليماً كثيراً ، والحمد الله .

الفصل الأول

تطور علم البيان

ويحتوي على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول

تطور مدلول البيان عند البلاغيين

المبحث الثاني

تطور مدلول المجاز

المبحث الثالث

مدلول المجاز عند السكاكي

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

تطور علم البيان

المبحث الأول

تطور مدلول البيان عند البلاغيين

عندما بسط العالم الإسلامي نفوذه على الأمم المجاورة وهي من أجناس مختلفة شهد العالم الإسلامي حركة عقلية لها عظيم الأثر في حصافة الفكر الإسلامي ونضوج الرأي ، وتزود علماؤها بألوان متعددة من الثقافات للرد على الذين عاودهم الحنين إلى دياناتهم السابقة .

ومن هذه الثقافات الاهتمام بالبيان العربي الذي أعجز به القرآن الكريم أرباب الفصاحة والبيان من هذه الأمم ، وسوف أتدرج بالتطور البياني من بداية القرن الثاني الهجري لتوضيح ما طرأ على علم البلاغة من تطورات جمة ، فنجد علماءها قد تسلحوا بعلم الفلسفة للرد على الحجج التي كانت سائدة في زمانهم.

وتعني كلمة البيان الوضوح والظهور والبيان هو الكلام الفصيح الذي يعبر به المتكلم عما يجيش بخاطره مع ذكاء وحسن تعبير وجمال. تقول العرب :(بينت الشيء تبيينا وتبيانا بكسر التاء . والبيان الفصاحة واللسن وكلام بين فصيح ، والبيان الإفصاح مع ذكاء والبين من الرجال الفصيح).[1]

---

[1] لسان العرب لابن منظور ج١٦ الطبعة الأولى بالمطبعة الميرية ببولاق فصل الباء حرف النون.

ثم نجد اللغويين قد ربطوا في شرحهم لدلالة مـــادة "بيـــن" بيـــن الوضوح والذكاء كذلك نجد الفيروزبادي قد وضحه بقولة: (البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللسن ، وأصلة الكشف والظهور).[1]

والبيان هو مجال الأداة وحسن السبك ومجال النظم ممـــا يكســـب الكلام قوة في التأثير على السامع ونجد الرسول الكريم قد أطلـــق عليـــه السحر بقولة "إن من البيان لسحرا" والمراد بالسحر (قوة تأثير الفصحـــاء في السامعين حتى يغير السامعون وجهة نظرهم وفقا لرغبـــة الفصحـــاء انقيادا لسحر بيانهم).

فإذا أردنا الحديث عن الصورة البيانية نجدهـــا مصطلحاً نقـــدياً وبلاغياً موجود في تراثنا من الناحية اللغوية والفنية فنجد البلاغيين والنقاد قد حددوا مفهوم البيان للصورة البيانية او الفنية فالبلاغيون تناولوها مـــن حيث التأثير والتأثر في السامعين أما النقاد المحدثون فقد إهتموا بالكشـــف عن حقيقتها من حيث ارتباطها بالتجربة الشعورية.

لقد بحث علماء البلاغة منذ القرن الثاني الـــهجري فـــي مفـــهوم السحر البياني في الآثار والأعمال الأدبية ثم كشفوا مدى تأثر السامع بـــها مع الاختلاف في الأسماء التي أطلقت على الأعمال الأدبية التي اجتمعت فيها عناصر التأثير البياني.

فبعضهم أطلق عليه اسم البيان و آخرون أطلقوا علية اسم البلاغـــة و آخرون استعملوا له لفظ المجاز وكلهم يرمون إلى هدف واحد ليوصلهم إلى تلك الغاية وهي الوصول إلى أســـرار الســـحر البيـــاني وتوضيـــح

---

[1] القاموس المحيط لفيروزابادي الطبعة الثالثة بالمطبعة الميرية ببولاق ج٢ فصل الباء حرف النون .

مرتكزاته ، ومن ثم علينا تتبع اثر هؤلاء العمالقة لنصل إلى ما يرمون إليه من هذه الهبة الإلهية من الجمال والحسن في الكلام .

نبدأ بشيخنا الجليل الجاحظ الذي تدل كلمة البيان عنده على وضوح وكشف المعنى دون التقيد بالجمال والسحر كما يقول الجاحظ في كتابه البيان والتبين: (مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شي بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى فذلك هو البيان).[1]

وبهذا التعريف يتفق الجاحظ مع النحاة في تعريفهم للكلام لأن الكلام لفظ مفيد يحسن السكوت عليه كما قال ابن مالك: (كلامنا لفظ مفيد كاستقم). ثم يقول الجاحظ في تحديد آخر لمعنى البيان: (إنما تحيا المعاني في ذكرهم لها وإخبارهم واستعمالهم إياها هذه الخصال هي التي تقربها من الفهم وتجليها للعقل وتجعل الخفي منها ظاهر والغائب شاهدا والبعيد قريبا .. والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله سبحانه وتعالى يمدحه ويدعوا إليه ويحث عليه وبذلك نطق القرآن وبذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت أصناف الأعجام).[2]

وفي عام ٢٧٦هـ يأتي العلامة ابن قتيبة مقلدا ومتأثرا بأستاذه المعتزلي الجاحظ بالرغم من أنه كان شيخا سنيا محافظا معاديا للمعتزلة فنجده يتحدث عن فنون القول وطرقه بقوله: (وللعرب المجازات في الكلام معناها طرق القول ومآخذه ففيها الاستعاره، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع،

---

[1] البيان والتبيين ج١ ص٥٦ للجاحظ تحقيق عبد السلام هرون.

[2] المرجع السابق ج١ ، ص٧٥.

والجميع خطاب واحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص).[1]

فنجده في هذا النص يخلط بين فنون علم البيان وغيرها من علوم اللغة وكلها عنده تعني المجاز الذي تحدد فيما بعد وصار اصطلاحا خاصا بعلم البيان.

ونجد ابن المعتز في عام ٢٩٦هـ في كتابه "البديع" ان المحدثين لم يخترعوا البديع الذي يلهجون به ولم ينشئوه بل إنه كان قائما وموجودا من القديم وذلك في القرآن والحديث وكلام الجاهليين والإسلاميين الشاهد على ذلك قوله: (قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدناه في القرآن و اللغة وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم و أشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدث البديع . ليعلم أن بشارا ومسلما وأبو نواس ومن حاكاهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى بهذا الاسم).[2]

وقد اتخذ من هذه النصوص مادة لكتابه البديع فالباب الأول منه يحتوي على الاستعارة ثم التجنيس ثم المطابقة ثم رد أعجاز الكلام على ما تقدمها، وكل هذا يندرج تحت اسم البديع. وظهر العالم ابن وهب المتوفى ٣٧٧هـ الذي يرى تعلم المنطق ومعرفة صور القياس شيئاً أساسياً في علم البيان وجعل للبيان أربع دلالات. وهي دلاله بالذات، ودلاله بالقلب، ودلاله بالنطق، ودلالة بالكتابة. ودلاله القول أو النطق عنده تعنى التعبير الذي يختلف باختلاف اللغات وذلك بقوله: (و أما البيان

---

[1] تأويل مشكل القرآن ص١٥ لابن قتيبه تحقيق السيد احمد صقر.

[2] كتاب البديع لابن المعتز ص١ قد اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس اغناطيوس كراتشفوفسكى.

بالقول فهو العبارة، وقد قلنا إنَّه يختلف بـــاختلاف اللغـــات وإن كـــانت الأشياء[1] المبين عنها غير مختلفة في ذاتها) .

و بذا يعتبر ابن وهب أول من ميز علم البيان تمييزا تاما من غيره من فنون البلاغة لأنَّ تحديده يمتاز بالدقة وذلك بجعله للأشياء بأنها غـير مختلفة ولكن الاختلاف في الأسلوب والتعبير.

لقد تأثر الر ماني المتوفى ٣٨٦هـ وهو معاصر لابـــن وهـــب بالجاحظ في تناوله لعلم البيان ورأى أنَّ يطلق البيان على الكـــلام الـــذي يتحقق ويكتمل فيه الجمال ويحتوي على الصور البيانية وهذا التأثير عنده واضحٌ في رسالته "النكت" في إعجاز القرآن فقســـم وســـائل الإظـــهار والتوضيح إلى أربعة أقسام هي: الكلام، الحـــال ، الإشـــارة والعلامـــة وانتقل من التعميم إلي التخصيص كما فعل الجاحظ وذلك بقوله: (والبيـان هو الإحصار لما يظهر تميز الشيء من غيره في الإدراك والبيان علـــى أربعه أقسام كلام وحال و إشارة وعلامة. والكلام على وجهين ، كـــلام يظهر به تميز الشيء عن غيره فهو بيان. وكلام لم يظهر تميز الشـــيء عن غيره فليس ببيان كالكلام المخلط والمحال الذي لا يفهم به معنـــي. وليس كل بيان يفهم به المراد حسن من قبل انه قد يكـــون علـــي عـــيٍّ وفساد).[2]

لقد اهتم عالمنا الخطابي المتوفى عام ٣٨٨هـ في اختيار الألفـاظ وتميز معانيها في تركيب الجمل وترتيب هذه الألفاظ في الكلام لأنها قـــد تعطى معنى مغايرا في التركيب فلا بد من وضع الكلمة أو المفردة فـــي موضعها الملائم والمناسب لتعطى ضرباً خاصا من جودة المعنى وبـــذا

---

[1] كتاب البرهان في وجوه البيان ص١١١ لابن وهب تحقيق د. احمد مطلوب.

[2] النكت في إعجاز القرآن للروماني ص٩٨ تحقيق د. محمد خلف الله و د.محمد زغلول سلام.

يعتبر أول من أوحى لعبد القاهر الجرجاني بنظرية النظم التي حدد بها نظرية المعاني في بلاغة الكلام. وذلك بقوله: (أعلم ان عمود هذه البلاغة التي تجمع هذه الصفات هو وضع قد نزع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضحه الأخص الأشكل به).[1]

لقد ألف أبو هلال العسكري المتوفى ٣٩٥هـ كتابه "الصناعتين" ليسد لنقص في كتاب الجاحظ ويكشف عن حدود الأقسام لوجوه البيان ، فاتخذ من مادة "بلغ" مرتكزا لحديثه عن الأثر الأدبي ومدى تأثر السامعين به من ناحية التصوير الفني ومقدرة الأديب لنقل ما يحسه بنفسه إلى الآخرين وتأثرهم به مع قوة التعبير وحسن السبك وذلك في قوله: (البلاغة كل ما يبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صوره مقبولة ومعرض حسن).[2] وهناك من يرى ان هذا التعريف لب البيان.

وفى آخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس نرى ابن سنان الخفاجي قد عنى بتفسير الفصاحة بادئاً ببيان الفرق بينها وبين البلاغة وجعلها خاصة بألفاظ كما جعل البلاغة عامة في الألفاظ والمعاني وبذلك كان كل كلام بليغ فصيحاً وليس كل فصيح بليغاً ونجد هذا الفرق ظل شائعا بعده وربما كان هو أول من اصطلح ذلك ونجده قد عرف البلاغة بتعريفات استمدها مما كتبه الجاحظ في بيانه ثم تكلم عن فصاحة الكلمة المفردة وجعل لها قوانين حتى لا يكون بها شئ من النشاز.

وبدأ ابو على الحسن بن رشيق المتوفى في عام ٤٥٦هـ حديثة في كتابة العمدة عن المصطفي صلي الله علية وسلم عندما تحدث رجل

---

(١) كتاب بيان إعجاز القرآن للخطابي ص ٢٦ ، تحقيق محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام.

(٢) كتاب الصناعتين "الكتابة والشعر" لأبي هلال العسكري ، ص ١٠ ، تحقيق علي البيجاوي ومحمد ابو الفضل.

عنده ، فقال له الرسول الكريم : (كم دون لسانك من حجاب ؟ " فقال (شفتاي وأسناني فقال له الرسول عليه السلام : (ان الله يكره الإنبعاق في الكلام، فنضر الله وجه رجل أوجز في كلامه واختصر في حاجته)).[1]

ثم سأل عليه السلام : فيمَ الجمال ؟ فقال: (في اللسان) يريد البيان.

ونجد ابن رشيق قد تتبع أقوال العلماء الذين سبقوه وتخير تحديد الرماني للبيان ثم نجده ركز علي سرعة الأثر في نفس السامع مع صحة التركيب.

ولقد اختص أبو بكر عبد القاهر الجرجاني المتوفى في عام ٤٧١هـ ببيان معاني الكلمات وكيف تختلف وتتفق في التركيب ثم نجده يري جميع المصطلحات من بلاغه وبيان وبديع فصاحة وبراعة تدل علي معنىً واحد وباجتماعها في كلام المتكلم او المتحدث تعطي المعيار السليم للتفاضل بين المتكلمين .

ونجد عبد القاهر يهتم بالحديث عن الجمال في التعبير والتصوير لأن البيان هو الأصل الذي تتكون منه القيم الجمالية وذلك بقوله: (إنك لا تري علما ارسخ أصلا وايسق فرعا و أعذب وردا، وأكرم نتاجا ، و أنور سراجا من علم البيان الذي لولاه لم تر إنساناً يحوك الوشي ويصوغ الحلي ويلفظ الدرر).[2]

لقد جعل عبد القاهر علم البيان العمود الفقري لعلم البلاغة لانه يعكس نجاح المبدع وكيفيه تأثيره في نفس السامع مع مقدرة في التأثير

---

[1] العمدة لابن رشيق تحقيق محمد بن محي الدين عبد الحميد ص٢٤٣.

[2] الإيجاز في شرح الإعجاز ص ٣١ تحقيق الشيخ المراغي المطبعة العربية .

النفسي للمتلقي وذلك بروعة التصوير وعمق الخيال الذي يعطي الأثـــر الأدبي موقعا خاصا في نفوس المتلقين ويرفع من قيمته الأدبية .

وفي بداية القرن السابع ظهر عالمنا السكاكي الذي أتـــى برؤيـــة جديدة وهي وضع أسس للتعبير الفني من بيان ومعانٍ وبديع في قوالـــب تكاد تعزلها عن النص. وذلك بقوله : (والخوض فيـــه يســـتدعي تمـــهيد قاعدة، وهي محاولة إيراد المعني الواحد بطرق مختلفـــة بالزيـــادة فـــي وضوح الدلالة عليه والنقصان).[1]

ومن هنا يتضح لنا كيف تأثر السكاكي بابن وهب في تحديده لعلـــم البيان . وكذلك يتضح لنا ان الآثار الأدبية قد تتفاوت في الدلالـــة بيـــن العمق والبساطة والتعقيد وحسن الأداء.

ومن هذا الاستقراء لاراء العلماء نستطيع القول بان للسابق فضلاً علي اللاحق ثم تبيان فضل جهد اللاحق بإضافات أعطت هذا التطور فـــي علم البيان ونموه.

لقد دار بحث العلماء حتى عصر عبد القاهر في الأساليب المختلفة لتوضيح معاني السحر البياني وذلك في مدي تأثر السامعين بذلك الأثـــر مما يجعلهم يؤيدونه او يمتنعون وذلك بتوافر الحسن في الأثر أو القبح . لذلك كان القرآن هو الأصل في البيان والسحر وذلك بقوله تعـــالي: (الرَّحمَٰنُ عَلَّمَ القُرءَانَ خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ).[2]

ثم تأتي في المرتبة الثانية الأحاديث النبوية الشريفة وذلك بقـــول الرسول الكريم (إن من البيان لسحرا).[3]

---

[1] مفتاح العلوم ص ١٤٠ منشورات المكتبة العلمية الجديدة بيروت .

[2] سورة الرحمن من الآية ١ إلى ٤.

[3] العمدة لابن رشيق ج١ ص ٢٥٤.

وبذلك يكون لهما أعظم الأثر في توجيه البحث في ذلك الحين لتبيان سحر البيان في الآثار الأدبية .

نجد عصر أبي يعقوب السكاكي كان عصر تصنيف وتحديد لكل فنون البلاغة تحت اسم البلاغة وهي تشتمل علي ثلاثة أقسام البيان ، والمعاني، والبديع . ولقد إكتفي رواد مدرسة السكاكي بالتحليل الجاف الذي لا علاقة له بالسحر البياني والإبداع الفني للنصوص الأدبية مما صرف كثيراً من الباحثين عن ذلك. ومن هنا نشأت أهميه الربط بين النص الأدبي وعلم البلاغة ثم أهمية الربط بين علم البلاغة وفنونه وتحليل الآيات القرآنية وبيان ما ذخرت به الآيات من أساليب بيانيه وإبداعيه كما في مدرسة عبد القاهر الجرجاني التي بدأها بجمال النظم وحسن السبك .

المبحث الثاني
تطور مدلول المجاز

مدلول المجاز عند علماء اللغة:

قد وضح لنا من تتبع مصطلح علم البيان منذ القرن الثالث الهجري حتى مدرسة السكاكي في بداية القرن السابع ان مصطلح علم البيان غير محدد، وهذا التعميم في المصطلحات صاحب مصطلح المجاز ، ولكي نتتبع تطور المصطلحات من التعميم إلى التخصيص لابد أن نقف علي دلالة المجاز لغةً ومفهومها الفني عند علماء البلاغة وربطها بالقرآن الكريم .

المفهوم اللغوي كلمة مجاز في مختار الصحاح هو: (جاز الموضع، سلكه وسار فيه) .

(يجوز) جوازا و (إجازة) أي خلفه وقطعه، و(اجتاز) بمعني سلك ، وجاوز الشيء إلى غيره (تجاوزه) بمعنى جازه.[1]

وفي لسان العرب يقول ابن منظور : (جزت الطريق وجاز الموضع جوازا وجؤوزا وجوازا ومجازا وجاز به وجاوزه جوازاً وأجازه وأجاز غير وجازه، سار فيه وسلكه و أجازه خلفه وقطعه ، و أجازه أنفذه .

قال الراجز : خلَّط الطريق عن أي سيَّاره

حتى يجيزُ سالماً حجازه

وقال أَوس بن مَعْراء : ولا يرمون للتعريف موضِعَهْم

حتى يُقالُ : أجيزوا آل صَفْوانا

وهنا يمدحهم بأنهم يجيزون الحاج

---

[1] مختار الصحاح محمد بن ابي بكر عبد القادر الرازي عني بترتيب هذه النسخة محمود خاطر بك بالمطبعة الاميرية ببولاق ص١١٧ تحت مادة (جاز).

والمجاز والمجازة : الموضع .

قال الأصمعي :

جزت الموضع ، سرت فيه وأجزته خلفته وقطعته ، وأجزته أنفذته.

قال أمرؤ القيس : فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى

بنا بطن خبت ذي قُفاف عقنقل[1]

ومن هذا يتضح لنا أن المعني اللغوي للمجاز هو تجاوز وتعدى الشيء إلي غيره وجاز الشيء أي سلك طريقه.

ومن خلال هذا المعني اللغوي نجد أن هناك صلة ربط وثيقة بين اللغويين وقول البلاغيين ،وهي أن المجاز ما أريد به غير المعني الموضوع له في أصل اللغة.

كما أن هناك صلة ربط وثيقة بين المعني الحقيقي والمعنى المجازى ، وأن المجاز يجوز جواز الحقيقة لقربها منه وقربه منها.

وخلاصة القول كما قال الدكتور بدوي طبانة: (من اللغة ما هو حقيقة بأصل الوضع ومنها ما هو مجاز بتوسعات أهل الخطابة والشعر، وكل مجاز له حقيقة، لأنه لم يطلق عليه لفظ (المجاز) الا لنقله عن حقيقة موضوعه له ،إذ المجاز هو اسم للموضوع الذي إنتقل فيه من مكان إلي مكان فجاء ذلك لنقل الألفاظ من الحقيقة إلي غيرها).[2]

---

[1] لسان العرب . للإمام أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ج ١٦ الطبعة الأولي الميرية ببولاق مادة :(حاز)

[2] علم البيان العربي . الدكتور بدوي طبانة.

المدلول الفني للمجاز عند البلاغيين :

يقول ابن تيميه في كتابه الإيمان: (أول من عرف أنه يتكلم بلفظ المجاز هو أبو عبيده معمر بن المثنى ولكنه لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة، و إنما بمجاز الآية وما يعبر به عن تفسيرها).[1] وهنا أبو عبيده يعنى بالنظرة التفسيرية اللغوية كما يظهر في حديثه عند استعراضه للآية القرآنية في قوله تعالى: (إن علينا جمعه وقرءانه).[2] فمجازه عند أبي عبيده (تأليف بعضه إلى بعض) فكلمه المجاز هنا ليس ضد الحقيقة كما ذهب البيانيون بعد ذلك ولكنها تعنى طريقة الجواز إلى فهم لفظه القرآنية ، ونرى ذلك أقرب إلى تفسير غريب القران منه إلى الكشف عن وجوه البيان فيه بالمعنى الذي ذهب البلاغيون إليه.

لقد أطلق الجاحظ كلمه مجاز على البيان بوجه عام ويقصد به كل ما عُدل عن معناه الأصلي إلى معني آخر فيه نحوٌ جاز وهو يربط بين الآيات التي تندرج تحت مفهوم المجاز الفني ، ونجد ذلك واضحا في قوله تعالي : ((إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً).[3] وقوله تعالي: (أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ).[4] حيث قال وقد يقال لهم ذلك وإن شربوا بتلك الأموال الانبذة ولبسوا الحرير والحلل وركبوا الدواب ،ولم ينقصوا منها درهما واحدا في سبيل الأكل . وهي معانٍ مجازيه في الآيتين.[5]

فالمفهوم الفني للمجاز في تفسير الجاحظ لقوله تعالي السابق تدل كلمه (أكل) علي أنواع التصرف في مال اليتيم.

---

[1] كتاب الإيمان ، ابن تيميه ص ٣٥.

[2] سوره القيامة ،الآية رقم ١٧.

[3] سورة النساء الآية رقم ١٠.

[4] سورة المائدة الآية ٤٢ .

[5] كتاب الحيوان للجاحظ ج٣ ص ٢٤٥ ٢٤٦ .

لقد ثبّت ابن المعتز في كتابه البديع ان فنون القول التي أطلق عليها المحدثون البديع مصدرها القرآن الكريم والحديث وكلام الجاهليين حيث جعل المجاز من أوائل أبواب البديع فقال: (قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدناه في القرآن واللغة وأحاديث الرسول صلي الله عليه وسلم وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم ، و أشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ليعلم أن بشارا ومسلما وأبا نواس ومن حاكاهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم).[1]

ومن هنا نري ان ابن المعتز قد أفرد كتابه في علم البديع وفنونه ولم يتطرق إلى المجاز ولكنه ذكر من أقسام البديع الاستعارة التي هي مجاز لغوي، وهذا المجاز اللغوي عنده يسمي بديعا لأن المتكلم يبدع في التعبير عن مشاعره عندما يتخذها وسيله للتعبير.

و ألف علي بن عيسي الر ماني المتوفى سنة ٣٨٦هـ رسالة (النكت في إعجاز القرآن) و أبان أن وجوه الإعجاز تظهر في سبع جهات وهي: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشده الحاجة والتحدي للكافة، والصرف، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقلة ونقض العادة وقياسه بكل معجزه).[2]

ثم نجده رمي إلى ما وراء الصورة البلاغية في القرآن من إشارة حسن ورسم للعواطف وتشخيص للمعني الذهني لينعكس إلى صورة مرئية ثم تحدث عن الاستعارة وما بها من مجاز وناحية فنية في القول

---

[1] كتاب البديع لابن المعتز اعتني بنشره وتعليق المقدمة والفهارس اغناطيوس كراتشفوفسكي ص ١.

[2] رسالة النكت في إعجاز القرآن الكريم للروماني وهي ثلاث رسائل في الإعجاز ص٦٩ تحقيق الأستاذ محمد علي خلف الله والدكتور زغلول سلام ط. دار المعارف.

والتعبير فيراها: (تعلق العبارة علي غير ما وضعت له في أصل اللغة علي جهة النقل للإبانة).[1]

وهذا التعبير ينحو منحىً فنيا أكثر من تعريف الجاحظ وذلك واضحا من خلال الآيات التي استشهد بها وقد أراد بها معني فنيا وتصويرا أوسع مدلولا منهما وذلك في قوله تعالي:(وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا).[2]

لقد تحدث ابن قتيبة عن المجاز واثبت أن القول يقع فيه المجاز واستدل لذلك بكثير[3] من الآيات والأشعار فهي قوله: (قال تعالي : (فأمه هاويه) لما كانت الأم كافلة الولد وغازيته ، ومأواه ومربيته وكانت النار للكافر كذلك جعلها أمه. وقال في أزواج النبي صلي الله عليه وسلم : في قوله تعالي: (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ).[4] أي كأمهاتهم في الحرمات. وفي قوله تعالي: (سنفرغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقلانِ)[5] و مجازه سنقصد لكم بعد طول الترك والإهمال.

يقول ابن قتيبه : (إن العرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمي بها سبباً من الأخرى أو مجاورا لها أو مشاكلا . فيقولون للدابة نوءٌ لانه يكون عن النؤ عندهم)[6]

مثال لذلك قول رؤية بن الحجاج:

وجفَّ انواءُ السحابِ المُرْتَزِقْ و استن أعراف السقى علي القيق[7]

---

[1] نفس المرجع السابق ص٧٩ .

[2] سوره الفرقان الآية ٢١.

[3] سوره القارعة الآية ٩.

[4] سوره الأحزاب الآية ٦.

[5] سوره الرحمن الآية ٣١ .

[6] تأويل مشكل القرآن لابن قتيبه تحقيق احمد صقر / مكتبه دار الذات القاهرة ص ١٣٥.

[7] تأويل مشكل القرآن ص ١٣٥ .

وقال جرير بن عطية :

اذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وان كانوا غضابا .

ويقصد بالسماء المطر وانهم لم يرعوا المطر ولكن يرعون الزرع الذي كان سببه المطر.

وساهم حمد بن محمد إبراهيم الخطابي المتوفى سنه ٣٣٨ هـ في الدراسات القرآنية فألف رسالة (بيان لإعجاز القرآن) وكانت من مناقشة لبعض الآراء في إعجاز القرآن ، وتحليل بعض النصوص فيه طرافة وفيه جمال وفهم لأساليب العرب . لذا نجد الخطابي قد تفرد بالإشارة الدقيقة إلى حقيقة الأسلوب الذي يجمع بين أهميه اللفظ والمعني إلى حد سواء وهذا الربط بينهما يدل علي حسن التأليف في الكلام وبذلك يتم نسق البيان وجمال التركيب .

لقد تعرض الخطابي لذكر أوصاف بلاغه القران وانهما أمور لا تجتمع لأحد من البشر وإن كان من أفصح الناس وأعرفهم بطرق الكلام وأساليب فنون البيان والشاهد علي ذلك قوله: (و إذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا نرى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظهم ولا نرى نظما أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه وأما المعاني فلا خفاء علي ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها والترقي إلى أعلى درجات الفضل في نعوتها وصفاتها).[1]

---

[1] ثلاثة رسائل من إعجاز القرآن ، النكت في إعجاز القرآن ، ص ٨٠ ٨٢ ، تحقيق الأستاذ محمد خلف الله ، الدكتور زغلول سلام ط. دار المعارف.

وذكر ابن وهب الاستعارة وقرنها بالمجاز حيث قال :(إن العبارة أو القول باللسان قسمان قسم ظاهر لا يحتاج إلي تفسير وآخر باطن يحتاج ويتوصل إليه القياس).

ذكر شوقي ضيف بتأثر ابن وهب بالفلسفة اليونانية و أرسطو تأثيراً كبيراً حتى بدأ يظهرِ الجفاف واضحاً في بيانه وكان البيان العربي عند ابن وهب يريد أن يستعجم.[1]

لقد تناول أبو هلال العسكري في كتابة (الصناعتين) الاستعارة والمجاز وذلك من صفحة ٢٦٨ حتى صفحة ٣٠٦ وأبان فضل المجاز علي الحقيقة في القرآن الكريم حيث قال: تعالى:(أغفلنا عليهم) ومعناها أطلعنا عليهم والاستعارة أبلغ ، لأنها تتضمن غفلة القوم عنهم حتى أطلعوا عليهم).[2]

وفي الشعر الجاهلي حيث يقول امرؤ القيس في مطولته :

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل[3]

وشرح البيت : يقول امرؤ القيس إنني أخرج باكراً في الصباح للصيد كل يوم قبل أن تنزل الطيور من أعشاشها ممتطياً فرساً أصيلاً ضخماً خفيف الشعر .

ومعني (قيد الأوابد) أنه يلحق الصيد حتى يصير لها مثل القيد فلا تستطع منه الإفلات .

---

[1] البلاغة تطور وتاريخ ، د. شوقي ضيف ، ص ٩٩.

[2] كتاب الصناعتين ، لأبي هلال العسكري ،ص٢٦٩.

[3] شرح المفردات :اغتدي :اخرج في الصباح الباكر . وكناتها : جمع وكنة بضم الواو وسكون الكاف عش الطائر ، المنجرد الفرس القليل الشعر وذلك دليل علي جودته وسرعته ، قيد الأوابد : الأوابد الوحوش ويراد بها الغزلان وأبقار الوحش ، هيكل : ضخم عظيم الجثة .

يقول أبو هلال (إن الحقيقة هي مانع الأوابد من الإفلات والذهاب.

والاستعارة هنا أبلغ لأن القيد من أعلى مراتب المنع عن التصرف).[1]

ونجده سار علي هذا النهج في تتبع أساليب المجاز في كلام الصحابة والإعراب وشعر الأمويين ومنه ووصف الاخطل في الخمر في قوله:

حتى إذا افتض ماء المزن عذرتها

لاح الزجاج وفي ألوانه صهب [2]

ويتضح المجاز هنا في الاستعارة المكنية في الخمر التي فضّ ، الماء عذرتها. واختتم حديثه عن المجاز بالاستعارة المكنية من شعر العباسيين حيث قال أبونواس:

و اسقني البكر التي اختمرت بخمار الشيب في الرحم [3]

وبهذا نرى أن أبا هلال العسكري قد افتتن بروعة المجاز ووقف علي جميع روائعه شعراً ونثراً .

وتعرض أبو علي الحسن ابن رشيق في كتابه العمدة للمجاز من ناحية دلالته اللغوية و أثره في بلاغة الكلام ، ووقف عند آراء العلماء في جوازه ووضح أثره في إعجاز القرآن وكيف كان أحد الأساليب التي وقف العرب أرباب الفصاحة والبيان عاجزين عن معارضتها حيث قال: (وهو طريق القول ومأخذه وهو مصدر (جزت مجازا) كما تقول (قمت مقاما، وقلت مقالا) واستدل بكلام عبد الله بن مسلم بن قتيبه في المجاز،

---

[1] المرج السابق ص ٢٧١.

[2] كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري ، ص ٢٨٦.

[3] المرجع السابق .

فقال (لو كان المجاز كذبا لكان أكثر كلامنا باطلاً، لأننا نقول : نبت البقل و صاحت الشجرة، و أينعت الثمرة، و أقام الجبل، ورخص السعر. ونقول: كان هذا الفعل منك وقت كذا، والفعل لم يكن و إنما كُوِّن، ونقول كان الله، كان بعني حَدَثَ، والله قبل كل شيء، بلا غاية، ولم يحدث: فيكون بعد أن لم يكن. قال تعالى: (فوجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ)[1] فلو قلت لمنكر هذا كيف تقول في جدار رأيته علي شفا انهيار؟ لم يجد بداً من أن يقول: يهم أن ينقض أو يكاد، أو يكاد أن يقض أو يقارب أن ينقض فإن فعل فقد جعله فاعلاً، ولا أحسبه يصل إلى هذا المعنى في شيء من لغات العجم ، إلا بمثل هذه الألفاظ . [2]

ونرى من ذلك أن المجاز في القرآن يضفي مزيداً من الحسن والجمال الفني للنظم وهذا دليل الإعجاز، لأنه أتى معجزا بالرغم من أن العرب ذوي فصاحة وبيان فأتى القرآن من جنس نوع فصاحتهم وبيانهم بل يفوق ذلك ، وبهذا كله ننفي القول الذي ينزه القرآن من المجاز بل بذلك نثبت أن القرآن به مجاز وأنه يفوق ما قالته العرب وذلك لاثبات إعجازه في كل القيم الفنية التي تكسبه الديمومة وصلاحيته لكل زمان ومكان.

ويرى ابن رشيق أن المجاز أبلغ من الحقيقة وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع وأنه يسمى الشيء باسم ما يقاربه أو كان منه سبب كما قال جرير بن عطية :

إذا سقط السماء بأرض قوم
رعيناه وإن كانوا غضابا

---

[1] سورة الكهف الآية ٧٧.

[2] العمدة لابن رشيق القيرواني تحقيق محمد محي الدين ومستدل به من كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق احمد صقر ص ١٣٣.

وشرح البيت كما جاء في تأويل مشكل القرآن وقال ابن السيد (يقول: إذا نزل المطر بأرض قوم فأخصبت بلادهم و أجدبت بلادنا سرنا إليها ورعينا نباتها، وإن غضب أهلها لم نبال بغضبهم لعزتنا ومنعتنا).[1]

فيقول ابن رشيق أراد المطر لقربه من السماء ويجوز أنه أراد بالسماء السحاب لان كل ما أظلك فهو سماء، وقال: (رعيناه) والمطر لا يرعى ولكنه أراد النبت الذي يكون عنه فهذا كله مجاز[2] .

وقال : أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني في المجاز أنه الكلمة التي وضعت في غير ما وضعت له في أصلها وهي (كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعاً ، لملاحظة بينها وبين أصلها. ومثال ذلك (جلت يده عندي) و (كثرت أياديه لدي) .

ولقد تحدث عن الاستعارة، ومن خصائصها أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من الألفاظ ولها من الحسن والجمال في الكلام حتى أنها تريك الجماد حيا ناطقاً والأعجم فصيحاً وذلك واضحاً في وصفه للاستعارة بقوله : (أنها تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر وتجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر).[3] ثم يقول: (فإنها تريك المعاني الخفية بادية جلية وإذا نظرت إلى أمر المقاييس وجدتها ولا ناصر لها أعز منها ولا رونق لها مالم تزنها) ثم يقول : (تريك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون).[4]

---

(1) استدل به ابن رشيق ، ص ٢٦٦ ، وشرحه في تأويل مشكل القرآن لابن قطيبة ، ص ١٣٥.

(2) العمدة لابن رشيق ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ص ٢٦٦ .

(3) أسرار البلاغة للجرجاني تحقيق محمود محمد شاكر مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة ، ص ٤٣ .

(4) نفس المرجع السابق ص ٤٣ .

ومثال الاستعارة عنده قول أبى تمام :

وقد نثرتهم روعة ثم أحدقوا به

مثلما ألفت عقدا منظما

وقول المتنبي :

نثرتهم فوق الأُحيْدبِ نثرة

كما نُثِرتْ فوق العروس الدراهم

وهذه هي الاستعارة الجميلة لأن (النثر) في الأصل للأجسام الصغيرة كالدراهم والدنانير والجواهر والحبوب؛ لأن لها هيئة مخصوصة في التفرق لا تأتي في الأجسام الكبار؛ ولان القصد بالنثر أن تجمع الأشياء الصغيرة في كف أو وعاء ثم يقع عليها التفرغ، و الكبار لا يكون فيها ذلك، ولكن المتفق عليه تساقط المنهزمين في الحرب على غير ترتيب ونظام وذلك وجه الشبه بينها وبين المنثور لذا استعير (النثر) للمتساقطين في الحرب وهنا نري جمال الاستعارة ومدلولها الفني بأخذ الألباب حيث يريك ما لتساقط المنهزمين من جمال يشبه تناثر الدرر وغيره.

ومن ذلك نري أن الحسن ينبع من الاستعارة وإن الاستعارة تتجسم عندما نقرأ اللوحة الفنية التي رسمها الشاعر وإن الاستعارة عنده تكشف ما خفي في الحديث حتى تريك له صوره محببة ومرغوبة .

المبحث الثالث

مدلول المجاز في مدرسة السكاكي

يكشف لنا أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي عن النوعين اللذين يشتمل عليهما الكلام أولاً الحقيقة ويريد بها الكلمة التي استعملت فيما وضعت له حسب ما وضعهما الواضع في معناها بالتحقيق ثم قسمها إلى حقيقة لغوية وحقيقة شرعيه و أخرى عرفيه وبين السبب في انقسامها لأن اللفظة تمتنع أن تدل علي مسمي من غير وضع فمتي رأيتها دالة علي شيء فلا تشك أن لوضعها واضع وصاحب فإن كانت تدل علي معني لغوي عرفت صاحبها لغويا وشرعيه إن كان واضعها الشارع ، ومتى لم يتعين لها صاحب تكون عرفية. ومما يوضح حديثنا قوله: (والكلام مفتقر إلى تقديم التعرض لوجه دلالات الكلم علي مفهوماتها و لمعني الوضع والواضع).[1]

ومثال الحقيقة اللغوية كاستعمال كلمه (الأسد) في المخصوص فلفظ (الأسد) موضوع له من غير تأويل.

ومثال الحقيقة الشرعية وهي استعمال الشارع لفظ الصلاة للدعاء، والعرفية استعمال صاحب العرف (الدابة) للحمار .

ثانياً: المجاز وعنده هو الكلمة التي استعملت في غير ما وضعت له مع قرينه مانعه من إرادة المعني الأصلي وذلك بقوله: (المجاز هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له بالتحقيق استعمالا في الغير بالنسبة إلى مع قرينه مانعه عن إرادة معناها في ذلك النوع)[2] .

---

[1] مفتاح العلوم للسكاكي ، منشورات المكتبة العلمية الجديدة بيروت ص. ١٦٨ .

[2] مفتاح العلوم للسكاكي ص ١٧٢ .

وقد فصل في معني المجاز تفصيلا حيث نجده قسم المجاز إلى قسمين: لغوي وهو مجاز في المفرد حيث قال: (المجاز اللغوي راجع للمعني المفيد الخالي عن المبالغة في التشبيه)[1]. ومعني ذلك ،هو تعدي الكلمة عن مفهومها الأصلي بمعونة القرينة إلى غيره لملاحظة بينهما ونوع التعلق. مثال ذلك : أن تراد النعمة باليد وهي موضوعه للجارحة المخصوصة لتعلق النعمة بها من حيث أنها تصدر عن اليد ومنها تصل إلى المقصود بها .

ثم مجاز لغوي راجع إلى حكم الكلمة وهو انتقال الكلمة من حكمها الأصلي إلى غيرها كقوله تعالي: (وَجَاءَ رَبُّكَ)[2] والأصل جاء أمر ربك فالحكم الأصلي في قوله تعالي:(رَبُّكَ) هو الجر والنصب مجازا وفي قوله تعالي: (ليس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ).[3] والأصل ليس مثله شيء بنصب (مثله) والجر مجازا.[4]

ومدار هذا النوع علي حرف واحد وهو أن تكتسي الكلمة حركة لأجل حذف كلمة لابد من معناها أو لأجل إثبات كلمة مستغنى عنها استغناء واضحاً كالكاف في قوله تعالي :(ليس كمثله شيء) و (الباء) في نحو (بحسبك أن تفعل كذا) وهذا النوع يعده السكاكي ملحقا بالمجاز ومشبها به لما بينهما من الشبه.

---

[1] نفس المرجع السابق .

[2] سورة الفجر الآية ٢٢.

[3] سورة الشورى الآية ١١.

[4] مفتاح العلوم للسكاكي ص ١٨٥ .

المجاز العقلي :

والمجاز العقلي كما عرفه السكاكي هو: (الكلام المفاد به ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل إفادة للخلاف لا بواسطة)[1] ثم ضرب لذلك أمثله منها: (انبت الربيع البقل) وهنا انك قلت خلاف لما عند المتكلم من الحكم فيه بدون أن أقول خلافاً ما عند العقل لئلا يمتنع طرده ومعني ذلك أن الذي اثبت البقل هو قدرة الله التي كانت سببا في ذلك ومثال آخر (شفى الطبيب المريض) ولكن الله هو الشافي والمتسبب فى دواء وشفاء المريض ، كما يقول: (هزم الأمير العدو) وتعلم أن جنود الأمير هي التي هزمت العدو. وكل ذلك مجاز عقلي لعدم رجوعه إلى الوضع وكثيرا ما يسمى حكمياً لتعلقه بالحكم ومجازا في الإثبات لتعلقه بالإثبات . كما تحدث السكاكي عن الاستعارة باستفاضة ثم أنها ، ذكر أحد طرفي التشبيه ونريد به الطرف الآخر ، مدعين دخول المشبه في جنس المشبه به لتقارب وجه الشبة بينهما حتى يُظن أن المشبه به هو عين المشبه أو مطابقاً له في التشابه مثال ذلك حينما تقول: (رأيت أسداً يخطبُ) ونجد في هذا المثال رجلاً يشبه الأسد حتى أنه يطابقه في شجاعته وبأسه وقوته وهذه الصورة الأولى مجازية علاقتها المشابه أما الصورة المشبه بها فهو أسدٌ حقيقي لذا فهي استعارة تصريحيه لأننا صرحنا بلفظ المشبه به. ثم هناك نوع آخر من الاستعارة ونجد فيه حذف المشبه به ويرمز إليه بشيء من لوازمه مثال: (انشبت المنية أظفارها) . وهنا شبهنا المنية بالسبع وإنكار أن تكون شيئاً غير سبع فيرمز لها بشيء يخص المشبه به وهي (الأظفار) وهذه الاستعارة تسمى استعارة مكنية ، ويقول السكاكي أن الاستعارة عموماً تبنى علي التأويل وهي غير كاذبة

---

[1] مفتاح العلوم للسكاكي ص١٨٥ .

أو باطلة وذلك بقوله: (الاستعارة لبناء الدعوى فيها علي التأويل تفارق الدعوى الباطلة وتفارق الكذب، بنصب القرينة المانعة من إجراء الكلام عن ظاهره).[1]

ثم تحدث عن المجاز المرسل وعلاقة الكلمة بما وضعت له وهي علاقة غير المشابه ولكن لابد من وجود علاقة رابطة أو مسببة لتلك العلاقة وضرب بذلك الكثير من الأمثلة من القرآن الكريم و الأشعار.

وخلاصة القول نجد أن هناك صلة ربط وثيقة بين البلاغيين وعلماء اللغة في أن المجاز هو لفظ أريد به غير المعنى الموضوع له في أصل اللغة ، كما توجد علاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي سواء كانت المشابهة أو غير المشابهة وتحتاج هذه إلى ملابسة بين المعنيين .

وفي ختام حديثي حاولت أن أوضح اليسير من تراثنا العظيم الذي سرت علي نهجه تحقيقاً و إحياءً لهذا التراث العظيم محاولة إبانة إعجاز القرآن الكريم. فإن أصبت فذلك توفيق من الله وإلا فحسبي أجر المجتهد، والله المعين.

---

[1] مفتاح العلوم للسكاكي ، منشورات المكتبة العلمية الجديدة ، بيروت ، ص ١٧٦.

الفصل الثاني

الصراع بين الإيمان والكفر

ويحتوي على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول

بين المسلمين والمنافقين

المبحث الثاني

المشاهد القصصية والأمثال

المبحث الثالث

بين المؤمنين واليهود

الفصل الثاني

الصراع بين الإيمان والكفر

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحَمدُ للهِ رَبِ العَالَمِينَ ، الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ ، مَالِكِ يَومِ الدِّينِ ، إِيَاكَ نَعبُدُ وإِيَاكَ نَستَعِينُ ، أهدِنَا الصِرَاطَ المُستَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِم وَلاَ الضَّآلِّينَ)[1]

(آمين)

لقد حوت سورة الفاتحة المعاني الكثيرة في القرآن الكريم بالرغم من عدد آياتها السبع، ثم اشتملت هذه السورة علي الكثير من أنواع والبلاغة والبيان وذلك مثل القصر في قوله تعالى: (إِيَاكَ نَعبُدُ وإِيَاكَ نَستَعِينُ) وما يهمنا هو المجاز الذي احتوت عليه آياتها في قوله تعالى: (أهدِنَا الصِرَاطَ المُستَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم) وهذه استعارة علي أحد التأويلين.

أولا: الصراط في اللغة اسم الطريق وهو هنا (يعني) علاقة الإنسان بخالقه تنفيذاً لأوامره ، واجتناباً لنواهيه ، لأن الطريق والمنهج الواضح وهو الهادي الذي يهدي إلى القصد وبه تستقيم حياة الفرد والجماعة وبه تتحقق الغاية من تعمير الإنسان للحياة الدنيا التي تفضي إلى سعادة الآخرة .

والتأويل الثاني : للصراط أن يكون المراد به المجاز المسلوك إلى الجنة ولا أرى فرقاً بين التأويلين؛ لأن الثاني ملازم للأول ، إذا حقق العبد سعادة الحياة الدنيا في صلته بالله يلزم من ذلك المجاز المسلوك إلى الجنة.

---

[1] سورة الفاتحة من الآية ١ - ٧ .

مضمون سورة البقرة :

اشتملت سورة البقرة علي الجانب التشريعي شأنها شأن السور المدنية التي تعالج النظم والقوانين التشريعية التي يحتاج إليها المسلمون في حياتهم الاجتماعية .

لقد تناولت في البدء صفات المؤمنين والكافرين والمنافقين ، لتوضيح حقيقة الإيمان وحقيقة الكفر والنفاق ، ثم تحدثت عن بدء الخليقة في قصة سيدنا آدم وما جرى بها من تعليم للملائكة وذلك دلالة لتكريم المولى عز وجل للبشر ، واتبع في ذلك أسلوب الحوار التعليمي للملائكة. ثم تناولت الحديث عن أهل الكتاب وبالأخص بني إسرائيل (اليهود) لجوارهم للمؤمنين في المدينة وتنبيههم وتحذيرهم من خبث اليهود ومكائدهم ونفاقهم .

وعبر القرآن الكريم عن هذا المضمون المتعدد الجوانب بأسلوب معجز في بيانه و معانية وبديعة، وسوف أقف علي أسلوب المجاز في هذه السورة إنشاء الله ، أو في معظمها لإحياء التراث ، وتفهم إعجاز القرآن الكريم ، وجعلت لكل مضمون مبحثا خاصا به .

المبحث الأول

بين المسلمين والمنافقين

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1] لما كان البحث وثيق الصلة بإعجاز القرآن ، أرى من اللازم أن أقف على رأي بعض المفسرين، في ابتداء بعض السور بالحروف الهجائية التي هي أصوات اللغة التي برع فيها العرب الفصحاء ، فبعضهم يرى أنها ظاهرة من ظواهر تحدي القرآن للعرب بأن لغة القرآن مكونة من لغتهم بكل وسائل نطقها حروفاً ، وكلمات ، وجمل وبعضهم يرى أنها رموز لمعان وبعضهم يرى إنها لجذب أنظار من أعرض عن القرآن .

فمن هؤلاء المفسرين ابن كثير حيث يقول في مختصر تفسيره : (إنما ذكرت هذه الحروف في بداية أوائل السور بياناً لإعجاز القرآن ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله). [2]

ثم يقول صاحب الكشاف: (ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلابد فيها من أن يذكر فيها انتصاراً للحروف).[3]

ومنه أيضا سيد قطب حيث قال: ((الم) إشارة لإعجاز القرآن وأنه منظوم من أمثال هذه الحروف الهجائية وبدأت الآيات بذكر أوصاف المسلمين المتقين ، وابتداء السورة بالحروف المتقطعة يجذب أنظار المعرضين عن هذا القرآن إذ يطرق أسماعهم لأول وهلة ألفاظ غير مألوفة في تخاطبهم).[4]

---

[1] سورة البقرة ، الآية ١-٢ .

[2] مختصر تفسير ابن كثير ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ج ١ ص ٣٣ .

[3] الكشاف للزمخشري ، ص ٢٧.

[4] في ظلال القرآن ، سيد قطب ، الجزء الأول الطبعة الثانية ، طبع بدار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ، ص ٣٥.

ولصاحب تاج التفاسير رأي في هذه الحروف فهو يراها من منظور صوفي، وهي عنده : أن الألف إشارة إلى الحضرة الألوهية واللام لحضرة اللطف والميم إشارة إلى سينا محمد صلى الله علية وسلم حيث يقول: (الألف إشارة إلى الحضرة الألوهية واللام لحضرة اللطف والميم إشارة إلى سينا محمد صلى الله علية وسلم فيكون المقصود من الحروف : الله لطيف ومن جليل لطفه أرسل محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ليهديهم إلى ما يوصلهم إلى جنابة العظيم ويدعوهم إلى ما يدخلهم ديوانه الأسمى).[1]

ومن ذلك يتضح لنا أن الابتداء بالحروف الهجائية من الأسرار الإلهية التي عجز العرب ذو الفصاحة والبيان أن يأتوا بمثله ، ومن مظاهر الأسلوب المعجز النسق في قوله تعالى: (ذَٰلِكَ الْكِتَابُ)[2] اسم الإشارة يدل علي البعد المعنوي والتعريف بالألف واللام يدل علي الكمال وما ينشأ من هذا الكمال من احتمال المبالغة، فتأتي جملة (لا ريب فيه) مبينة كمال الاتصال بإزالة ما يطرأ من احتمال الشك ، سبحان الله جل جلاله في بديع نظمه وبيانه ، وقوله تعالى: (هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)[3] أي هادٍ للمتقين الذين يتقون سخط الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ويدفعون عذابه بطاعته وهنا قصر المولى عز وجل الهداية علي الذين يتقون الله وليس سواهم.

---

[1] تاج التفاسير للشيخ محمد عثمان بن السيد محمد ابي بكر بن السيد عبد الميرغني تحقيق: الأستاذ / محمد العبيد بالجامعة الإسلامية امدرمان والأستاذ/ يوسف الترابي بالجامعة الإسلامية امدرمان ، والأستاذ / محمد عبد الله العمرابي معهد امدرمان العلمي .

[2] سورة البقرة ، الآية ٢.

[3] سورة البقرة الآية ٢.

ثم يأتي السؤال لهم هم المفلحون ويأتي الرد الفاصل الحق في قوله تعالى: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) [1] .

وهنا يأتي الرد بصفات المتقين وهم المؤمنون الذين يؤمنون بالغيب وهو ما غاب عنهم من حساب وعقاب وجنة ونار وملائكة وهي أشياء غيبية لم تدركها حواسهم وذكرت في القرآن الكريم أو عرفهم بها نبيهم الكريم وهي شاملة لكل غيب عن إدراك الإنسان ثم أنهم يقيمون الصلاة ويؤدونها علي أكمل وجه من سجود وركوع وخشوع آداب ، كما قال ابن عباس : (إقامتها: إتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع)[2] ، ثم إنهم ينفقون ويتزكون مما أعطاهم الله وذلك في قوله:(وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)[3] .

إنهم يتصدقون بما رزقهم الله في وجوه البر والإحسان وهنا نرى اشتمال الآية علي الزكاة والصدقة وسائر النفقات ويقول ابن كثير في ذلك: (كثيراً ما يقرن الله عز وجل بين الصلاة والإنفاق من الأموال فالصلاة حق الله وهي مشتملة علي توحيده وتمجيده والثناء عليه ، والإنفاق هو الإحسان إلى المخلوقين وهو حق العبد علي أخيه العبد المحتاج ، وهي أن ينفق الإنسان مما أعطاه الله في أوجه البر من صدقة وزكاة وسائر النفقات).[4]

---

[1] سورة البقرة ، الآية ٣.

[2] مختصر تفسير الطبري تحقيق د. محمد علي الصابوني والدكتور صالح احمد رضا ج ١ ، ص ١ ٢٥ تفسير الطبري ، تفسير الجلالين ١- ٢٨ .

[3] سورة البقرة ، الآية ٣ .

[4] تفسير العظيم ، لابن كثير ، ج١ ، ص ٣٣ ٣٥ .

ثم يأتي وصف المولى عز وجل للمؤمنين في مخاطبته للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حيث قال: (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون).[1]

أي أنهم يصدقون برسالة سيدنا محمد صلي الله علية وسلم وبكل ما جاءت به الكتب السماوية التي أرسلت لما قبلك من الرسل وأنهم لا يفرقون بين كتب الله ورسله ثم إيمانهم القاطع الذي لا يلابسه شك بالدار الآخرة والبعث والجزاء والجنة والنار والحساب والميزان: (أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[2] .

وهنا يأتي التأكيد علي هداهم وفلاحهم بتكرار الإشارة إليهم ، وأنهم فازوا بالدرجات العلي في جنات النعيم .

وبعد استطلاع معنى المفسرين للآيات أستطيع أن اقف علي الجانب البلاغي فيها، وهو الإجمال الذي اتضح في قوله تعالى: (هدى للمتقين) وكأن هناك سؤلا نشأ من هذا الإجمال يطلب معرفة كنههم وكان كمال الاتصال والتفصيل في قوله تعالى : (الذين يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ).[3] نلاحظ هنا أسلوب البيان في تجسيد الصلاة وجعلها مفعمة بالحركة في هذه العبارة، ونلاحظ عنصر الحركة فى قوله تعالى:(وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ).[4] وهى حركة الإنزال التي

---

[1] سورة البقرة ، الآية ٤ .

[2] سورة البقرة ، الآية ٥ .

[3] سورة البقرة الآية ٣ .

[4] سورة البقرة الآية ٤.

جعلت ديمومة الحياة تتمثل في عناية الله بخلقه حتى اكتملت عقولهم فختم الإنزال بالقران.

ثم التعبير البلاغي المعجز في قوله تعالى:(وبالآخرة هم يوقنون).[1] فإن الضمير المنفصل المبنى على الفعل يوحي بأسلوب التوكيد ، والتأكيد هنا يعكس أهمية الإيقان بالآخرة و أثره في ضبط صفات المؤمنين وتثبيتها وفي المجاز العقلي فى قوله تعالى: (هدى للمتقين). واسند الهداية للقران وهذا من الإسناد للسبب والهادي في الحقيقة الله سبحانه وتعالى.

وفى هذه الآيات التالية نقف على صفات الكافرين وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2] .

ومعنى الآية ان الذين جحدوا بآيات الله وكذبوا برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأنهم يتساوى عندهم أحذرتهم أم لم تحذرهم لذا أتى بهمزة التسوية فالأمر سواء عندهم يا محمد وذلك لكفرهم وجحودهم لأنهم (لا يؤمنون) أي لا يصدقون بما جئت به وهي الصفة المقابلة لصفات المؤمنين بتصديقهم للرسول الكريم بكل ما اخبرهم به ، لذا يخبره المولى عز وجل علي عدم الطمع في إيمانهم حتى لا تذهب نفسك يا محمد حسرات عليهم وهذا الخطاب لتسلية الرسول الكريم عن تكذيب قومه له ثم بين الله تعالى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حقيقة العلة في عدم إيمانهم وذلك في قوله تعالى: (ختم الله علي قلوبهم) يقول المفسرون (الختم)

---

[1] سورة البقرة الآية ٤ .

[2] سورة البقرة الآية ٦ ، ٧ .

هو الطبع والتغطية[1] وذلك أن القلوب إذا كثرت عليها الذنوب طمست نور الهداية والبصيرة فيها ، فلا يكون للإيمان إليها مسلك ولا للكفر عنها مخلص كقوله تعالى: (بل طبع الله عليها بكفرهم) أي أن الله يعلم تمام وكمال العلم بما في قلوب هؤلاء وعند تصديها للحق وانسدادها عليه جحوداً وكفراً لذا يأتي التنبيه من المولى عز وجل لرسوله الكريم من تأبي نور الهداية لقلوبهم المغلفة بظلمه الكفر . حتى أنها توصف بالختم والطبع ، ومن هنا يتبين لنا إعجاز القرآن بحمل الأخبار الصادقة وما سوف يكون. بالإضافة لما أشار إليه المفسرون هناك المظاهر البلاغية التي سوف أقف عليها في هاتين الآيتين مع التركيز علي الأسلوب المجازي فأقول: من المظاهر البلاغية في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ).[2]

أجد بداية الآية بالأسلوب الطلبي الذي يكشف عن رغبة الرسول صلى الله علية وسلم في هدايتهم ولذلك فإن طبيعة النفس لا تقبل في عدم جدوى عملها، ولهذا لابد أن تخاطب هذه النفس بالأسلوب الطلبي. ومن المظاهر البلاغية أيضا أسلوب التسوية الذي أخرج الاستفهام عن مدلوله اللغوي للدلالة علي معنى جديد وهو التسوية بين الإنذار وعدمه في عدم الجدوى.

ثم قوله تعالى: (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ).[3]

---

[1] تفسير ابن كثير وتفسير الزمخشري وتفسير الطبري بتصرف.

[2] سورة البقرة الآية ٦.

[3] سورة البقرة الآية ٧ .

وهنا تظهر الصورة البيانية الرائعة في تشبيه المولى عز وجل لقلوبهم لتأبيها عن الحق و أسماعهم و أبصارهم لامتناعهم عن لمح نور الهداية بالوعاء المختوم عليه المسدودة منافذه المغشي بغشاء يمنع أن يصله ما يصلحه ثم حدد نوع الاستعارة وهي استعارة تصريحيه في قوله تعالى: (ختم على قلوبهم) واستعار لفظ الختم لعدم استجابتهم للهداية وهذا مجاز يبين مدى إصرارهم وانسداد قلوبهم عن الحق ، ونلاحظ هنا استعارة الختم وقوة إغلاقه لانصراف القلوب والأسماع عن الهداية ، والإعجاز والبلاغة تظهر في مشهد التجسيد للمعنويات التي جعلت الانصراف محسوساً يرى بالعين ويلمس باليد، ثم تظهر البلاغة في تنكير الغشاوة التي تدل على التعامي عن الحقيقة وبذا يكون الإعجاز القرآني في البلاغة .

وهناك صنف ثالث وهم المذبذبون بين هذين القسمين وهو القسم المنافق الذي يظهر عكس ما يبطن ويخادع بأعماله وذلك بيَّنٌ في قوله تعالي : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ، يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ).[1]

أي أن هؤلاء يقولون صدقنا بالله وما أنزل علي رسوله الكريم من الآيات البينات وصدقنا باليوم الآخر أي بالبعث والنشور وهذا قول دون فعل وأنهم يكذبون ويظهرون عكس ما يبطنون ، وسرعان ما تأتي الإجابة من المولي عز وجل بما يخفونه وذلك بقوله تعالي :(وما هم

---

[1] سورة البقرة الآية ٨ – ١٢ .

بمؤمنين). وينكشف جهلهم وخداعهم بما يبطنون، بخفة عقولهم وجهلهم أهم يخادعون الله ؟ !! أما يعلمون أن الله لا تخفي عليه خافية ؟ وأنه هو الذي يعلم ما تكنه النفوس وما تخفيه الصدور ــ سبحان الله ــ وما تحمله سرائر القلوب ، يا لجهلهم وخداعهم !!! ثم أنهم لا يعلمون أنهم يخادعون أنفسهم بجهلهم ونفاقهم ، ويظهر ذلك بأنهم أنفسهم لا يصدقون الحقيقة ولا يؤمنون بما أنزل علي نبينا الكريم؛لأنهم يقولون ذلك قولا دون اعتقاد وكلاما دون تصديق، يقول الإمام البيضاوي: (هذا هو القسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وهم أخبث الكفرة وأبغضهم إلى الله ؛ لأنهم موهو الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ، ولذلك أطال الله في بيان خبثهم وجهلهم واستهزاء بهم وتهكم بأفعالهم وسجل عليهم الضلال والطغيان وضرب لهم الأمثال).[1]

ويقول ابن كثير في ذلك :(النفاق هو إظهار الخير و إسرار الشر وهو أنواع، نفاق اعتقادي هو الذي يخلد صاحبه في النار ونفاق عملي وهو من اكبر الذنوب و الأوزار لان المنافق يخالف قوله فعله وسره علانيته).[2]

وهنا يظهر الأسلوب البياني المعجز في الاستعارة التمثيلية في قوله تعالي: (يخادعون الله) وذلك بتشبيه ما لهم مع ربهم في إظهار الإيمان و إخفاء الكفر بحال رعية تخادع سلطانها ، واستعير اسم المشبه به للمشبه بطريقه الاستعارة .

---

[1] تفسير الإمام البيضاوي ص ١ــ١١ .

[2] مختصر تفسير ابن كثير دار المعرفة للطباعة والنشر ١ــ٣٣.

و اقف هنا في المشهد الحركي في قوله تعالي :(فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ، وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ).(١)

لقد اشتملت هذه الآيات علي المظاهر البلاغية الآتية:

هذا المرض يطلق في الكل وهو مرض الجزء وأسلوب الحوار الذي أشاع الحيوية في المشهد كله و الأسلوب الإنكاري في قوله تعالي: (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) حيث جمع كل أساليب التوكيد ، (ألا) الاستفتاحية، وان والضمير المنفصل المعتمد علي الاسم المشتق في قوله تعالي:(هُمُ الْمُفْسِدُونَ) وتكرر هذا الأسلوب في تسجيل صفه السفاهة عليهم ، وأسلوب القصر الذي يختم به القرآن كل صفه يدعون عدم اتصافهم بها كما يتضح في النسق البديع في قوله تعالي :(أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) . (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ).

وفي استعاره اسم الشياطين لقرناء السوء الذين يمارسون معهم صفه الكفر سرا وما فيها من إيحاء بصوره التقبيح لما في نفس ذلك المجتمع من تصور لقبح الشيطان في قوله تعالي :(وإذا خلوا إلى شياطينهم).

ثم ننتقل إلى قول المولي عز وجل في وصف حال هؤلاء الكفرة الذين استبدلوا الكفر بالإيمان وذلك لاشترائهم الضلالة ودفعوا ثمن الهدي كمن يشتري الفساد ويدفع ثمنه الحسنى ، فهذه تجارة فاسدة خاسرة

---

(١) سورة البقرة الآية ١٠ــ١٤ .

لاستبدالهم الحسن بالسيئ والجيد بالخبيث فلذا لم تربح هذه التجارة والاستبدال الفاسد وذلك لعدم رشدهم واهتدائهم وذلك ما تراه واضحاً في الآية الكريمة (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ)[1]

والإشارة هنا لتهكم بهم والاستهزاء عليهم ثم النفي لتأكيد عدم الربح لعدم الهداية والرشد ثم تظهر لنا الاستعارة التصريحية في قوله تعالي: (اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى) أي استبدلوا الغى بالرشاد والكفر بالإيمان فخسرت صفقتهم ولم تربح تجارتهم فاستعار لفظ الشراء للاستبدال ثم زاده توضيحاً بقولة فما ربحت تجارتهم وهذا هو الترشيح الذي يبلغ الاستعارة ذروتها العليا .

وقد علق الزمخشري بقولة علي ذلك (هذا من الصنعة البديعية التي تبلغ المجاز الذروة العليا)[2]

ثم يضرب الله الأمثال لهؤلاء المنافقين الفاسقين لعلهم يستفيدون منها ويتعظون بها ولكن هيهات هيهات لما نراه واضحاً في هذه الآيات قال تعالى: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ، أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ، يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[3]

---

[1] سورة البقرة الآية ١٦.

[2] الكشاف للزمخشري ج١ ص٣٥ .

[3] سورة البقرة الآية ١٧-٢٠.

يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ). (١)

وهنا شبههم المولي عز وجل بحال قوم أصابهم مطر شديد وما يتبعه من هول وحيرة لشدة المطر الهاطل الذي تتبعه الظلمة الشديدة والرعد الذي يصم الآذان حتى يكاد أن يفجر ما حوله لشدة صعقه وصوته المدوي ، ثم ذلك البرق الذي يخطف الأبصار من شده توهجه ولمعانة وسرعته في التلاشي وما تحدثه هذه السرعة في الظهور والإختفاء من حالة لفقدان البصر المؤقت ثم تلكم الحالة الهستيرية التي يحدثها أزيز الرعد وشدته مما يجعلهم يحاولون إغلاق آذانهم وسدها من الصواعق وأزيزها حذر الموت ، وهذا المشهد يوحي بشده الرغبة في أحكام الإغلاق للآذان من قوة أزيز الرعد الذي زاد المشهد حركة وعنفوانا واضطراباً كاضطراب هؤلاء المنافقين من التفاتهم وصدودهم عن الحق والهداية وزعمهم أن الضلال سينجيهم.

يقول الطبري في تفسيره في قوله تعالي: (وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ) جملة اعتراضيه ، أي أن الله تعالي محيط بهم بقدرته ، وهم تحت إرادته ومشيئته لا يفوتونه كما لا يفوت من أحاط بالأمراء من كل جانب)(٢) وقوله تعالي: (يكاد البرق يخطف أبصارهم)(٣) أي يكاد البرق لشدته وقوته وكثره لمعانة أن يذهب بأبصارهم فيأخذها بسرعة ،وقوله تعالي (كُلَّمَا أَضَاءَ

---

(١) سورة البقرة الآية ١٩-٢٠.

(٢) تفسير الإمام الطبري ج١ ص٧٩.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٠ .

لهم مشوا فيه) أي كلما أنار لهم البرق الطريق مشوا في ضوئه (وإذا أظلم عليهم قاموا)[1] أي إذا اختفي البرق وفقد لمعانة توقفوا عن المسير وثبتوا في مكانهم ، وفي هذا تصوير لما هم فيه من غاية التحير).[2]

وتظهر بلاغة القران في تصوير سيد قطب لهذا المشهد (بأنه مشهد عجيب حافل بالحركة مشوب بالاضطراب فيه تيه وضلال وفيه هول ورعب ، وفيه فزع وحيره وفيه أضواء وأصداء ، صيب من السماء هاطل غزير فيه ظلمات ورعد وبرق. (كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوا۟ فِيهِ). وإذا أظلم عليهم قاموا أي وقفوا حائرين لا يرون أين يذهبون وهم فزعون ،إن الحركة التي تعمر المشهد كله من الصيب الهاطل إلى الظلمات والرعد والبرق والحيرة والفزع فيه إلى الخطوات الوجلة التي تحدث عندما يخيم الظلام ، وهذه الحركة ترسم التأثير الإيحائي لحركة النية والاضطراب والقلق النفسي الذي يعيش فيه أولئك المنافقون بين لقائهم للمؤمنين وعودهم إلى الشيطان).[3]

ونخرج من ذلك كله بأن الله قد وصف المنافقين في هذه الآيات بعشرة صفات شنيعة وقبيحة تدل علي رسوخهم في الضلال وهي الكذب والخداع والمكر و والسفه والاستهزاء والفساد في الأرض والجهل والضلال ثم التنديد في آرائهم والسخرية من المؤمنين.

نأتي إلى التحليل البلاغي المعجز في القرآن فنجد في الآية الكريمة في قوله تعالى: (كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوا۟ فِيهِ) ونرى في ذلك الشرط الذي يقيد التكرار في "كلما" وهي أداة شرط مفيد التكرار وإذا نظرنا لهذه

---

[1] سورة البقرة الآية ٢٠ .

[2] تفسير الطبري ص ١ ٨٠ .

[3] في ظلال القرآن سيد قطب الجزء الأول ، ص ٥٠.

الجملة من لناحية البلاغية في علـــم المعـــاني نجـــد ان الجملـــة تفيـــد الاستمرارية في الغي والضلال وهذا أسلوب القرآن المعجز علي ثبـــات حال المنافقين واستمرارهم في غيهم وضلالهم مـــهما تكـــن مـــن تلـــك المحاولات البائسة التي ينبه بها الله سبحانه وتعالى وبفشلها وذلـــك مـــن الإعجاز القرآني. ثم قول الله سبحانه وتعـــالى: (يجعلون أصابعهم في آذانهم) وهنا نرى الرغبة الشديدة في إغلاق آذانهم من شدة الهول وأنهم يحاولون إغلاقها إغلاقا تاما ويسدونها سدا مخافة من أزيز الرعد الـــذي أرهبـــهم وهزهم هزا وذلك لاعتقادهم بان لا يسمعون شيئا توجسا وتوهما منـــهم بأنه هذه الحركة لانسداد الآذان سوف تنجيهم من شـــدة أزيـــز الرعـــد وصقعه وهذا الوصف زاد الحركة قوة وعنفوانا واضطرابا وحيرة وهنـــا نرى المجاز المرسل في هذه الآية وهو إطلاق الكل والمراد به الجـــزء لان فتحه الآذان لا تحتمل الأصابع كلها ولكن ذلك يعطي المشهد حركـــة الإضطراب الواضحة الحركة الهستيرية التي أصابهم من جراء ذلك حتـــى جعلتهم يتخبطون في حركاتهم .

يقول ابن القيم: (تأمل قول الله تعالى " ذهب الله بنورهم " ولم يقل "ذهب الله بنارهم " مع أنه مقتضى السياق ليطابق أول الآية " استوقد نارا " فإن النار فيها إشراق وإحراق فذهب الله بما فيها من الإحـــراق وهـــو "النارية" ثم أنه قال " بنورهم " ولم يقل بضوئهم .. لأن الضوء زيادة فـــي النور ، فلو قيل "ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيـــادة فقـــط دون الأصل".[1]

ومن ذلك نرى جمال السبك وحسن المقصد والدلالة ، وهنا قصـــد المولى عز وجل الذهاب بالكل دون الجزء ليوضح مدى الظلمة والعتمـــة

---

[1] صفوة التفاسير محمد علي الصابوني نقلا عن محاسن التأويل للقاسمي ، ص ٢٦ .

حتى لا يكون هناك شيء يهتدون به ليوازنوا بين الحـــق والبـــاطل إن كانوا يهتدون ويعملون، ويتعلمون من هذه الأمثال التـــي هـــي للعظـــة والحيرة وتقريب البعيد وتوضيح الغامض، ولتأثيرها العجيب علي النفـس البشرية.

المبحث الثاني

المشاهد القصصية والأمثال

المشهد الأول

الأمثال

قال تعالى في محكم تنزيله: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ، الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ، كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ).[1]

إن كثرة الأمثال في القرآن الكريم هي أحد الأساليب البيانية فيه ، و أريد بها العظة والعبرة والاستفادة منها لتقريب البعيد وتصويره أمام أعين المترددين ، حيث أن التعبير بالصورة وسيلة من وسائل الإقناع ، وهناك أمثلة للرد علي مزاعم اليهود والمنافقين كما جاء في الآية (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا) بمعنى أن الله لا يمتنع من ضرب الأمثلة بأي شيء ما ، سواء كان هذا الشيء صغيراً أو كبيراً كقوله تعالى: (بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا) سواء كان هذا المثل بالبعوض أم بما هو دونها وأحقر منها أو أصغر منها ، كما لا يمتنع بأن يخلق ، فالذي خلقها له الحق في ضرب المثل بها ، وهذا مجاز من باب إطلاق الملزوم و إرادة اللازم أي

---

[1] سورة البقرة الآيات ٢٦ ٢٩ .

أنه لا يترك عظيم بالحياء عن الترك لأن الترك من ثمرات الحياء ، ومن استحيا من فعل شيء تركه .

وكما قلت: إن التعبير بالصورة وسيلة من وسائل الإقناع فمن الناس من يتقبله ويستفيد منه وهم المؤمنون الذين يعرفون تمام المعرفة بأنه من عند الله وأنه الحق ولا يقول الله إلا الحق .

والصورة المقابلة لذلك هي صورة المشركين أو المنافقين فهم يتعجبون من ضرب الأمثلة حتى أنهم يتساءلون: ماذا أراد الله بهذه الأمثال ؟ ثم ضرب الأمثال بهذه الأشياء الحقيرة فتكون في عيونهم غشاوة عن الحق وبذلك يعمهون في طغيانهم ولا يدركون بأن القرآن قد نزل بكلام العرب الذين يضربون الأمثال بالبهائم والطيور والحشرات وجميع الهوام وهذه أمثال العرب سائدة بينهم.

ويقول الزمخشري: (التمثيل إنما بيان إليه لما الكشف المعني ، ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب ، فليس العظم والحقاره في المضروب به المثل إلا أمرا تستدعيه مال المتمثل له ، ألا تري إلى الحق لما كان أبلج واضحا جليا، كيف تمثل له بالضياء والنور ؟ لما كان يغير صفته كيف تمثل له بالظلمة ؟ .

ولما كان مال الآلهة التي جعلها الكفار أندادا لله تعالي ليس أحقر منها وأقل لذلك ضرب لها المثل ببيت العنكبوت في الضعف والوهن لقوله تعالي: (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ).[1] وجعلت أقل من الذباب و أخس قدرا كقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا

---

[1] سورة العنكبوت - الآية ٤١ .

يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ).[1] والعجب منهم كيف أنكروا ذلك وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهائم والطيور والحشرات والهوام وهذه أمثال العرب بين يديهم سائرة وفي حواضرهم وبواديهم).[2]

نأتي إلى قول المولي عز وجل : (يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ).[3] أي يضل به كثيرا من الفاسقين لعدم إيمانهم به ،ويهدي به كثيرا من عباده المؤمنين لتصديقهم لقول الحق ، يقول محمد علي الصابوني في كتابه صفوه التفسير : (فيزيد أولئك ضلاله وهؤلاء هدي).[4] وقوله تعالي : (وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ) هنا نري أسلوب القصر الذي يدل علي قصر صفه الضلال علي الموصوفين وهم الجاحدون الخارجين عن طاعة الله .ثم عدد أوصافهم بأنهم كقوله تعالي : (الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)[5]

ونقض العهود يكون بنقضهم عهد الله لهم بما أنزل في الكتب السماوية من إيمان بالله وإيمان بسيدنا محمد صلي الله عليه وسلم والإيمان بالرسل والإيمان بالكتب السماوية والعمل بما فيها من شرائع بعد ميثاقه وتأكيده ، ثم قطعهم لصلة الرحم والقرابة وعموم اللفظ يؤكد كل قطيعه لا يرضاها الله كقطع صله أنبيائهم، وعدم موالاتهم للمؤمنين ، وهم الذين يفسدون في الأرض بالمعاصي والفتن والبلبلة و إثارة الشبهات حول القرآن الكريم ثم يأتي التأكيد من المولي عز وجل بأنهم الخاسرون

---

[1] سوره الحج الآية ٧٣ .

[2] الكشاف للزمخشري ج ١ ص٨٣.

[3] سوره البقرة الآية ٢٦

[4] صفوه التفسير لمحمد علي الصابوني أستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعه أم القرى مكة المكرمة ص ٣١ .

[5] سوره البقرة الآية ٢٧ .

لأنهم استبدلوا الضلال بالهدي والغي بالرشاد فصاروا بذلك اقرب إلى النار خالدين فيها أبدا ، ثم يأتي الاستفهام في قوله تعالي : (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحيكم ثم إليه ترجعون)[1] والسؤال هنا يفيد التوبيخ والإنكار ، فيخاطبهم المولي عز وجل بهذه الصيغة التي تبين كفرهم وجحودهم ونكرانهم لعظمة الصانع البديع الذي فطركم ولم تكونوا شيئا وكنتم في العدم أي أمواتا في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات ثم أحياكم (فأحياكم) أي أخرجكم إلى الدنيا. (ثم يميتكم) عند انقضاء الآجال (ثم يحييكم) وهذه دلالة علي البعث وبرهانه عليه ، ثم يأتي الجزاء والحساب يوم النشور وذلك بقوله تعالي :(ثم إليه ترجعون) .

وتحليل الصورة البلاغية في قولة تعالي :(ينقضون عهد الله) حيث استعار النقض للعهد حيث شبهه بالحبل بجامع التواصل في كل وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو النقض علي سبيل الاستعارة المكنية ، وهنا نقف عند المشهد الحسن لقوة التماسك والإحكام بين العبد وربه الموثق بنطق الشهادتين ثم النطق بظاهرة النفاق المتمثلة في السلوك المناقض للإيمان .

ثم بعد ذلك يأتي التأكيد الذي يزيل الغموض ويؤكد قدرة الصانع وذلك في قوله تعالي :(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ)[2] أي هو الذي خلق لكم كل موجود في الأرض لتنتفعوا به وهو الخالق الرازق ، ثم وجه المولي عز وجل إرادته بعد ذلك لخلق السموات فصيرهن سبع سموات طباقاً محكمة البناء مرفوعة

---

[1] سورة البقرة الآية ٢٨ .

[2] سورة البقرة الآية ٢٩ .

بلا عمد وتلك القدرة العظيمة التي لا يدانيها شئ وهو العالم العليم بكل شئ وصيغة المبالغة برهان لمدي علم الله بمخلوقاته.

أفلا تعتبرون بأن الذي خلق ذلك كله وهو أعظم من خلق الإنسان بغادر علي خلقكم وإماتتكم ثم إحياءكم مرة أخرى لتحاسبو !!؟؟ بلي إنه هو الحق لا اله آلا هو وهو علي كل شئ قدير .

ومن ذلك نستنتج أن للأمثال دلالة فنية في تجسيم الأفكار ورسم الصور وتقريب البعيد وتوضيح الغامض حتى يصبح كالأمر المشاهد المحسوس وذلك لاتخاذ العظة والعبرة وكذلك الاشتمال علي الحكم .

كما نجد للأمثال من تأثير عجيب علي النفس الإنسانية كما نراها تدعو إلى اختيار موكب المؤمنين المتقين ثم يبين المثل النماذج الكافرة الجاحدة الحاقدة ثم النماذج المنافقة التي تظهر عكس ما تبطن من الأفعال. والأمثال إحدى طرق القران الكريم في التعبير[1]. ثم نقف هنا عند مشهد الاستواء ويتضح لنا المجاز في العلاقة المسببة حيث قدرة الله كانت نتيجتها استواء الخلق وحكمته في مشهد السموات .

---

(1) في ظلال القرآن — سيد قطب - الجزء الاول ص 54 — 55 بتصرف.

المشهد الثاني

القصص

لقد ورد في القران الكريم ذكر كثير من القصص وسرد القصص في القران الكريم هو عين الإعجاز القرآني الذي بلغ مرتبة الكمال ، وإن القصص قد وردت في القوان الكريم لإخبار الرسول عليه أفضل الصلوات بقصص الأمم السابقة وكان هذا من الإعجاز لأن نبينا الكريم كان أمياً وهذه القصص كانت في أزمان بعيدة مما أدى إلى إعجاز القران ومعرفة الماضي الذي حير هؤلاء القوم لصدقه بما نزل في كتبهم وكانوا يخبئونه فكشفهم القرآن الكريم ، وكانت القصص للعظة والعبرة وللقدرة وتثبيت العزيمة وكذلك التعليم والهداية .

ولعل هذا السبب من أسباب تكرار القصص الذي يلجا إليه القوان الكريم في مواضع متعددة بالإضافة للأغراض والمقاصد التي تختلف وتتنوع من موضوع إلى أخر وقد تتغير القضية عن غيرها من أنماط التغير بقالبها الفني حيث تكون أكثر انجذاباً إليه وذلك ما سنراه في هذه الآية التي شملت قصة سيدنا آدم عليه السلام ، قال تعالي في محكم تنزيله : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، قَالَ : يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.[1]

---

[1] سورة البقرة الآية ٣٠-٣٣ .

لقد بدأ المولي عز وجل حديثة لسيدنا محمد صلي الله عليه وسلم بإخبار عن قصة الملائكة حينما أراد الله سبحانه وتعالي خلافة الأرض لسيدنا آدم وكيف دار الحوار بينه عز وجل وبين الملائكة المخلوقات النورانية وذلك للتعليم والإستفادة من المشاورة لتكون هي المنهج المتبع في اتخاذ القرار.

فبدأت الآية في قولة تعالي :(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ) وأذ ظرف بمعني حين وهي منصوبة بفعل محذوف تقديره اذكر حين أو اذكر وقت والمعني هنا اذكر يا محمد حين قال ربك للملائكة . وهذه العبارة تدل علي بعد الزمن الماضي وذلك من دلائل الإعجاز القرآني وهو الإخبار عن القصص الماضية البعيدة .

فخاطب المولي عز وجل الملائكة بطريقة الحوار والمشورة ليفضح ما يكتمون وذلك علي سبيل التقرير لأنه أعلم بذلك وهو علام الغيوب . وأخبرهم بأنه سوف يجعل في الأرض خليفة يخلفه في تنفيذ الأحكام والشرائع ألا وهو سيدنا أدم عليه السلام أو قوماً يخلف بعضهم بعضاً وهنا جاء رد الملائكة علي سبيل الاستعلام والتعجب لأنهم كانوا يعلمون ما علمهم به الله من أن أقواما من الجن كانت مخلفة في الأرض فافسدوا فيها لذا جاء رد الملائكة في قولة تعالي :(قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ)[1] ويقول ابن كثير في ذلك :(ليس رد الملائكة علي وجه الاعتراض . علي الله سبحانه وتعالي ولا علي وجه الحسد لبني أدم ، و إنما هو سؤال استعلام واستكشاف عين الحكمة في ذلك ، يقولون ما

---

[1] سورة البقرة الآية ٣٠.

الحكمة في هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض؟)[1] وقال في التسهيل: (إنما علمت الملائكة أن بني أدم بإعلام الله إياهم بذلك ، وقيل كان في الأرض الجن فافسدوا فيها، فبعث الله الملائكة إليهم فقاس الملائكة بني آدم عليهم).[2] وقوله تعالي (يسفك الدماء) يريقون الدماء بالبغي والاعتداء (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) وهنا يجري الحوار مجراه هي الحكمة في خلق آدم عليه السلام إذ نحن نسبح بحمدك ونقدس ونعبدك. إذن ما هي الحكمة في خلق آدم إذا كان المراد عبادتك وهذا سؤال استعلام واستكشاف.

وهنا تظهر كيفية التعلم من المولي عز وجل بطريقة الحوار ليستكشف وأنه هو العالم بالخبايا والسرائر ولكن علي سبيل إقرار الملائكة أنفسهم بما يدور في نفوسهم بما وضعه الله من العلم لأنهم يعلمون أن الله لا يحب سفك الدماء والفساد في الأرض وهنا تظهر المشاركة والمحاورة بين المولي عز وجل لحكمة يعلمها الله و لتعليم عبادة المشورة في أمرهم قبل أن يقدموا عليها ،تأتي الإجابة الشافية في قوله تعالي (إني أعلم ما لا تعلمون) أي أني أعلم المصالح مالا تعلمون وما هو خفي عليكم ولي حكمة في خلق الخليقة لا تعلمونها وما أوتيتم من علم فهو قليل .

قال بن كثير : (أي أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف علي المفاسد التي ذكرتموها مالا تعلمون أنتم ، فإني سأجعل فيهم الأنبياء والرسل ويوجد فيهم الصديقون والشهداء والصالحون والعباد والزهاد والأولياء والأبرار والمقربون والعلماء والعاملون والخاشعون

---

[1] تفسير القران العظيم ، إسماعيل بن كثير القرشي المتوفي سنة ٧٧٤هـ ، الجزء الأول ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، ص٧١.

[2] التسهيل لابن جزيء ج١ ،ص٤٣ تفسير بن كثير ج١ ،ص٧١-٧٢.

والمحبون له تبارك وتعالي المتبعون رسله)[1] ومن ذلك نرى التواضع الظاهر للخالق للمخلوق، و أي إعزاز للمخلوق يصور لنا في هذه المحاورة وكل ذلك تدريب للمخلوقات علي الحياة والعيش فيها في وئام وتشاور لا حياة استبداد ومنقصة ولكنها الحياة الباقية الأزلية التي يريدها المولي عز وجل لمخلوقاته.

ومن ذلك نخرج إلى كيفية تعليم سيدنا أدم للأسماء بأمر الله، إذ قال تعالي : (وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) .[2]

لقد علم الله آدم بالقدرة الإلهية أسماء جميع المسميات والرموز وذلك كله بالإلهام وهي العظمة لادم وعلو شأنه بين المخلوقات لئلا يخفق في الإجابة يقول ابن عباس :(علمه اسم كل شيء حتى القصعة و المعرفة)[3] ومن ذلك يظهر جلياً (الإعلام) لكل فئة من المخلوقات فاختصاص سيدنا أدم عليه السلام معرفة المسميات لمتطلبات الأدوار التي سوف يوكل بها. كما تختلف اختصاصات الملائكة وهي طاعة المولي عز وجل والتسبيح والتمجيد ولا يعصون لله أمرا وكل حسب فطرته وخليفته ومتطلبات دوره. لذا تكون لكل فئة أهميتها وفعل ما توكل وعظمتها في كيفية أدائها للأدوار والمتطلبات.

فتكليف سيدنا آدم لدوره يتطلب معرفة الأشياء والمسميات وكل حسب دورة .

---

[1] تفسير القران العظيم لابن كثير ص٦٩.

[2] سورة البقرة الآية ٣١.

[3] مختصر تفسير ابن كثير ح١ ص٥٢ و ابو السعود ج١ ص٦٩ .

ثم بعد هذا التجهيز والتعبئة يأتي العرض ليبين للملائكة دور كل مخلوق، فدور الملائكة قد يعجز عنه سيدنا آدم كما عجزت الملائكة عن دور سيدنا آدم وذلك ما نراه واضحا عند السؤال في قوله تعالي: (ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين).[1]

وهنا تم العرض علي الملائكة للإخبار عن المسميات ، ونري العجز واضحاً في عدم المعرفة للمسميات لأنها لم تكن من اختصاصاتهم، وجاء السؤال علي سبيل التهكم والتبكيت والتعليم بشكل حوار حتى أن الله سبحانه وتعالي أراد للملائكة العجز عن ذلك لرفع قيمة ودرجة المخلوق المستخلف وهو آدم علية السلام وبذا يفضل علي سائر المخلوقات ، فقال المولي عز وجل :(أنبئوني) والأمر هنا خرج عن حقيقته إلى التعجيز ، فلما عجزت الملائكة عن معرفة الأشياء والمسميات يأتي التهكم من المولي عز وجل في قولة :(إِن كُنتُم صَادِقِينَ) أي أنكم في زعمكم أحق بالخلافة ممن استخلفته ، وهنا يظهر الله فضل سيدنا آدم عليه السلام بما علمه الله بالمسميات مالم تكن تعرفه الملائكة وخصه بالمعرفة التامة دونهم، وهنا يأتي الجواب القاطع الذي يوضح حقيقة العجز والقصور بردهم علي المولي عز وجل: (قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)[2] وهنا يظهر أسلوب القصر واضح في ردهم بالنفي والاستثناء بأن العلم لله وحده ومقصور علية .ثم يصور لنا المولي عز وجل حالهم وكيفية جوابهم في الحوار وكيف يبرزون مساوئ غيرهم ثم بعد ذلك يستخلص منهم الله سبحانه وتعالي ما يريد بدافع منهم واعترافهم علي ما

---

[1] سورة البقرة الآية ٣١ .

[2] سورة البقرة الآية ٣٢.

زعموا ثم نجدهم يؤكدون ويكررون التمجيد بقولهم :(إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) أي كما جاء في صفوة التفسير: (الذي لا تخفى عليه خافية وهو الذي لايفعل إلا ما تقتضيه الحكمة).[1]

بعد ذلك يريد المولي عز وجل من سيدنا أدم ان يختم حواره وان يتفوق في ذلك لأنه وضع فيه سر المعرفة ويأتي بالجواب في قوله تعالي :(يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ)[2] والنداء هنا يفيد التأكد علي معرفة سيدنا آدم التامة بذلك ، أي اخبرهم باسم كل شئ و أعلمهم بالأسماء التي عجزوا عن علمها واعترفوا بقصورهم بذلك (فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ) وهنا مجاز بالحذف والتقدير (فلما أنباهم بها) والحذف هنا لفهم المعني .

فاخبرهم سيدنا آدم باسم كل شئ وذكر الحكمة من خلقة ، ثم اخبرهم بكل ما عجزوا عنه واعترفوا بالقصور وعدم بلوغ هذه المرتبة وكان ذلك تقريرهم لحالهم.

وهنا رد المولي عز وجل بأسلوب استفهامي الغرض منه التقرير لهؤلاء المخلوقات النورانية والسخرية . مما أتوا به من تعليل لموقفهم عندما استشيروا وذلك بقوله تعالي: (قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ)[3] أي رد عليهم وعلي ما قالوه ألم أنبئكم بأني أعلم ما غاب عنكم في السماوات والأرض وما تظهرون وما تسرون ، هنا نشهد التكريم في أعلى صوره لهذا المخلوق الذي يفسد ويسفك الدماء ، ولكنه وهب من الأسرار ما يرفعه عن الملائكة ، لقد

---

[1] صفوة التفسير ، محمد علي الصابوني ص٣٤.

[2] سورة البقرة الآية ٣٣.

[3] سورة البقرة الآية ٣٣.

وهب المعرفة وسر الإرادة المستقلة التي تختار الطريق، وحمل الأمانة التي عهدت له حتى جعلت الملائكة يسجدون له ، وهذا السجود ليس سجود عبادة ولكنه سجود طاعة للمولى عز وجل لأنه أمرهم بذلك .

كما يقول سيد قطب: (وقصص الأنبياء في القرآن يمثل موكب الإيمان في طريقة الممتد الواصل الطويل ، ويعرض قصة الدعوة إلى الله و إستجابة البشرية لها جيل بعد جيل ، كما يعرض طبيعة الإيمان في نفوس هذه النخبة الممتازة من البشر وطبيعة تصورهم للعلاقة بينهم وبين ربهم الذي خصهم بهذا الفضل العظيم).[1]

وبعد قصة سيدنا آدم تتوالى القصص في القرآن الكريم من قصص الأنبياء وكل ذلك للدروس والعظة والعبرة والتعليم بكل وسائله وذلك من إعجاز القرآن الكريم لأن ذلك من أخبار الأمم السابقة ثم من أخبار الغيب وكل ذلك لتعريف الرسول الكريم بها لما يتطلبه موقفه من الرسالة وتفويضه.

أستطيع بعد العرض العام لمشهد الحوار ، وتبيان الجوانب الفنية فيه ، ومغزى القصة ، ان ألاحظ المظاهر البلاغية عامة والمجازية خاصة فأقول: بدأت القصة بالأسلوب الطلبي في قوله تعالى: (إني جاعل في الأرض خليفة) وهذا يكشف نفسية المخاطب ويؤيد ما قاله المفسرون من أن الله أعلم الملائكة بأن نفراً من الجن أفسدوا في الأرض لهذا فان الملائكة سيقابلون هذا الخبر بالتردد ، بمطابقة الكلام لمقتضى الظاهر تحتم الخبر الطلبي يقوله تعالى: (إني جاعل) .

---

[1] في ظلال القرآن ، سيد قطب ، الجزء الأول ص ٨٥ .

وأيضا تنكير الخليفة يدل علي تعظيمه وهذا مظهر من مظاهر بلاغة القرآن وإعجازه ، ثم ذلك الاستفهام الذي يدل علي الإنكار والتعجب في قوله تعالى: (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك؟ !!) ولا يفوتنا الخبر الطلبي الذي ختمت به الآية في قوله تعالى: (إني أعلم ما لا تعلمون) .

ومن المظاهر البلاغية هذا الأسلوب الاستفهامي التقريري في قوله تعالى: (ألم أقل لكم ..) والخبر الطلبي في هذه الآية يدل علي رؤية الملائكة لخلافة سيدنا آدم لازالت تشوبها مظاهر الرؤية الضبابية في قوله تعالى: (إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون ما كنتم تكتمون) فهذه المظاهر البلاغية التي فيها مزايا الإعجاز القرآني الذي هو هدف هذه الدراسة.

وننتقل بعد ذلك إلى قصة بني إسرائيل وهي من أكثر القصص وروداً في القرآن لنستعرض من خلال الآيات التصوير البديع لحال اليهود عبر العصور، من مكر وخداع وتكاتف وتعاضد ضد الحق منذ زمن سيدنا موسى عليه السلام، فهذه الآيات تصور حال نفاقهم وتلبسهم الحق بالباطل وذلك في قوله تعالى: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ)[1]

ويأتي تصوير بني إسرائيل ومخاطبتهم بأسلوب النداء وهو نداء علوي وجملة طلبية مفادها تذكيرهم بنعم الله عليهم التي نسوها، والوفاء

---

[1] سورة البقرة الآية ٤٠ ٤٣.

له بالعهد ليوف لهم بعهدهم ثم يذكرهم بتقواه وخشيته، وكل ذلك تمهيدا لدعوتهم للإيمان ومصدقا لما معهم وفي ذلك يقول ابن كثير: (يقول الله تعالى آمراً بني إسرائيل بالدخول في الإسلام ومتابعة محمد عليه من الله أفضل الصلوات ومهيبا لهم بذكر أبيهم إسرائيل وهو النبي الصالح يعقوب ، وتقديره يا بنى العبد الصالح يعقوب كونوا مثل أبيكم المطيع لله في متابعة الحق ، كما تقول يا ابن الكريم أفعل كذا).[1]

ثم يأتي تذكير بنى إسرائيل نعم الله مليه وذلك فى قوله تعالى: (اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ) قال مجاهد: (نعمة الله التي أنعم بها عليهم ، نعمته أن جعل منهم الأنبياء والرسل ، وأنزل عليهم الكتب وفجر لهم الحجر ، وأنزل عليهم المن والسلوى، ونجاهم من عبودية آل فرعون)[2] ثم يأمرهم المولي عز وجل بالوفاء بالعهود ليوف لهم عهودهم وذلك في قوله تعالي :(وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) أي أدوا ما عاهدتموني عليه من الإيمان والطاعة ورد الفعل الوفاء بعهدكم وهو حسن الثواب.

(وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) أي اخشوني دون غيري (وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ) وهو القران الكريم مصدقاً لما نزل في التوراة من أمور التوحيد والنبوة (وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ) وهنا نري أسلوب النهي واضحاً بالا يكونوا أول من يكفر به من أهل الكتاب إذ الأحرى بهم ان يصدقوا به دون غيرهم لعلمهم بذلك.

ثم يأتي أسلوب النهي مرة أخرى لتأكيد النهي وذلك في قوله تعالي: (وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا) وتكرار النهي يفيد التأكيد لهم بعدم استبدال الآيات البينات بحطام الدنيا ، والشراء هنا ليس شراءً حقيقياً بل هو علي

---

[1] تفسير القران العظيم لابن كثير، ج ١ ، ص٨٢.

[2] نفس المرجع السابق .

سبيل المجاز وهو استعارة تصريحيه ، لا استبدالهم الآيات بالثمن القليل وهو حطام الدنيا، : (وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ) وهنا يظهر الوعيد جلياً فيما يتعمدونه من كتمان الحق و إظهار خلافة ،ومخالفتهم للرسول الكريم عليه أفضل الصلوات ، ثم قولة تعالي: (وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) أي لا تخلطوا الحق المنزل من عند الله بالباطل الذي تخترعونه ، وذلك بأنه نزل في التوراة ما يبشر بالقران الكريم وذكر صفات الرسول عليه الصلاة والسلام ، فكتموه لذا فضحهم القران الكريم بما أوتوا من المعرفة وكتمانها وتحريفها ثم نهاهم عن الكتمان للحق وهم يعلمون وذلك في قولة تعالي : (وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) ثم يأمرهم بالصلاة والزكاة في قولة تعالي: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) أي أدوا ما فرض عليكم من صلاة وزكاة وصلوا مع المصلين أي من أصحاب الرسول صلي الله علية وسلم في جماعة كما أمرتهم.

وهنا يظهر المجاز المرسل في قولة تعالي: (وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ)، واختتم هذا المشهد بالمظاهر البلاغية آلاتية: نري أسلوب القصر في تقديم المفعول علي الفاعل والفعل في قولة تعالي: (وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) (وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ) وأسلوب التوكيد في حمل الضمير المنفصل علي الفعل في قولة تعالي: (وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)، والمجاز اللغوي في تجسيد المعنويات وعكسها في الأسلوب الذي برع فيه العرب عامه ولاسيما قريش وهو أسلوب الشراء في قولة تعالي: (وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا) ويظهر التصوير الحسي للتدليس وقلب الحقائق في قولة تعالي: (وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ) .

وكما ذكرت سابقاً هذا المجاز المرسل في إطلاق الركوع علي الصلاة. وهكذا كل مشهد مفعم بالصور البلاغية التي هي عنوان المجاز القرآني للعرب وتحديهم فيما أتقنوا معرفته.

ويقول سيد قطب في ذلك: (وفي هذه الآيات تصوير بديع لحال بني إسرائيل في مشهد زاخر بالحركة والاستمرارية في الغي وهنا السياق موجه لبني إسرائيل الذين نصبوا العداء للدعوة في المدينة وواجهوها مواجهه نكرة وقاوموها مقاومة خفية وظاهرة وكادوا لها كيداً لأن الإسلام عزلهم عن القيادة الأدبية والاقتصادية التي كانت لهم منذ توحيد الأوس والخزرج، وسد الثغرات التي كان ينفذ منها اليهود وشرع لهم منهجاً مستقلاً يقوم علي أساس الكتاب الجديد وهذه هي المعركة التي شنها اليهود علي الإسلام والمسلمين منذ ذلك التاريخ البعيد ولم تنته ويخمد أوارها إلى يومنا هذا بنفس الوسائل والأساليب ولا يتغير شكلها ، و أما حقيقتها فباقية).[1]

ثم يختم المولي عز وجل هذا المشهد بالاستفهام الإنكاري في قولة تعالي: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[2]. وهنا دليل واضح علي نفاقهم بأنهم يدعون ويأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم من ذلك وهنا يظهر التأكيد علي معرفتهم لهذه الحقائق بما نزل في كتبهم ولكنهم أخفوه والقران الكريم يفضحهم، فالأحرى بهم الإيمان به هم أنفسهم والضمير المنفصل المحمول علي الفعل يؤكد ذلك (وَأَنتُمْ تَتْلُونَ) ثم يختم الآية باستفهام إنكاري أيضا مؤكداً للأول وهو (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) وهنا يفيد

---

[1] في ظلال القران ، سيد قطب ، ص٧٧ .

[2] سورة البقرة الآية ٤٤.

تقريرهم بأنهم عرفوا كل ما نزل علي سيدنا محمد صلي الله علية وسلم في كتابهم ولكنهم أنكروه و أخفوه.

ثم تتدرج القصة لعرض حالهم في عهد سيدنا موسى علية السلام وذلك في قولة تعالي: (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ، وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ، وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ، ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ، فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)[1].

يخاطب المولي عز وجل بني إسرائيل الذين زامنوا وعايشوا الرسول صلي الله علية وسلم ويخبرهم بما حصل لآبائهم في الماضي وذلك بقولة إني نجيت آباؤكم حين عذبهم فرعون ، والنعمة علي الآباء هي نعمة علي الأبناء لتذكيرهم النعم التي أنعمها الله علي بني إسرائيل حينما كان فرعون يسومهم سؤ العذاب ويذيقهم أمرَ واشد ألوان العذاب، والسوم فيه مجاز مأخوذ من سوم وهو البيع. فكان فرعون يذبح أولادكم ويستحي نساءكم وهذا العذاب محنةٌ وبلاءٌ ليتميز البر من الفاجر، ثم اذكروا يا بني إسرائيل حينما فرقنا لكم البحر حتى تعبروا منه وتنجوا من عذاب فرعون ثم بعد ذلك وعلي مشهد منكم أغرقنا آل فرعون وكل ذلك وانتم في موقف المشاهد ليري آيات الله الباهرة ولكنكم لا تتأثرون بها ولا تحسوها وتمضون في غيكم وكفركم.

---

[1] سورة البقرة الآية ٤٩-٥٤ .

ثم بعد ذلك قصة العجل وذلك عندما واعد الله سيدنا موسى علية السلام أربعين ليلة لاعطائة التوراة فلم تصبروا واتخذتم العجل معبود لكم وذلك كله لظلمكم ثم بعد ذلك غفرت لكم وعفوت عنكم وتجاوزت جريمتكم الشنيعة ، ثم بعد ذلك كله تذكروا نعمتي حين أعطيت موسى التوراة وجاء فيه تفريق بين الحق والباطل وأيدته بالمعجزات وكل ذلك لتهتدوا وتتدبروا بالعمل والتعقل بما فيه من أحكام، ولكن هيهات .. هيهات ولكنهم لم يتعظوا بكل ذلك وأصبحتم في غيكم تعمهون،ثم بعد ذلك طلب منكم سيدنا موسى بان تقتلوا أنفسكم لاتخاذكم العجل معبودا لعل الله يتوب عليكم، وهنا قتل النفس لعظمة الجرم الذي أحدثوه بعبادتهم للعجل.

ومن هذه المشاهد تتكشف لنا حالة اليهود النفسية والقلة الظالمة منذ عهد آبائهم فهم لا يتورعون بالرغم من كل العفو الذي وجدوه من المولي عز وجل ، وهنا نري لفت نظر المسلمين بكيفية التعامل مع نفاق اليهود ونفوسهم المريضة علي مر السنين وعدم التعبير لحالهم وسمتهم هي الكذب والنفاق والضلال وإن تغيرت الأساليب كل حسب عصره وزمانه وإن تغير في شكله.

ومن المشاهد البلاغية في هذا المشهد الاستفهام الإنكاري في قوله تعالي : (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ). وهنا تري أن الآية بدأت وختمت بالاستفهام الإنكاري والجملة الحالية التي تضخم الجرم والأسلوب المبني علي الضمير المنفصل المحمول علي الفعل في قولة تعالي: (وانتم تتلون كتاب الله). ونقف عند التعبير الحسي في قولة تعالي:(يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) ثم الحركة والاضطراب في مشهد البحر والتعبير عن الدهشة، وقوة أسلوب التوكيد في قولة تعالي(وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ) ثم الأسلوب المجازى في قتل النفس في قوله تعالي:(فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ).

المبحث الثالث

بين المؤمنين واليهود

يخاطب المولى عز وجل جماعة المسلمين ويخبرهم عن بني إسرائيل ويبصرهم بأساليبهم ووسائلهم في المجادلة بينهم وبين أنبيائهم ثم وسائلهم في الكيد والفتن ، ويحذر المسلمين من كيدهم ومكرهم علي ضوء تاريخهم الطويل وجبلتهم لكي لا تنخدع الأمة المسلمة بأقاويلهم ودعاويهم ووسائلهم في الفتن والتضليل وإدعاءاتهم الكاذبة ، ثم نرى تغيير السياق في الآيات التالية من سياق القصص إلي سياق المخاطبة ، والتوجيه واليأس والقنوط من المطمح ، يقول الله تعالى : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ، وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ، أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ، وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ، فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾.[1]

لقد بدأت الآية بالإستفهام وهو أسلوب طلبي يفيد اليأس من المحاولة والقنوط من المطمح وهذا التيئييس ورد كثيراً في كلام رب العزة بالنسبة لحال اليهود ، والمخاطبة هنا للمجموعة المؤمنة للتأكيد من دوام هذا الحال علي اليهود علي مر السنين والعصور وثبات حالهم علي النفاق والمكر .

---

[1] سورة البقرة الآية ٧٥ ٧٩ .

يقول ابن كثير (أتطمعون أيها المؤمنون أن يؤمنوا لكم أي يتّفادوا لكم بالطاعة، فهؤلاء الفرقة الضالة من اليهود الذين شاهد آباؤهم من الآيات البينات ما شاهدوه ثم قست قلوبهم بعد ذلك) .[1]

قال تعالي: (وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[2] وهذه الآية تعرض حال الفئة الضالة التي كانت مع سيدنا موسى عليه السلام عندما طلبت منه ان يسمعهم كلام الله، وفي بعض الروايات يقال إنهم سمعوا كلام الله وفي أخرى يقال إنهم عقلوه بعدما نقله إليهم سيدنا موسى عليه السلام وذلك كما في تفسير القرآن العظيم لابن كثير حيث قال :(محمد بن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال ثم قال الله تعالي لنبيه الكريم صلي الله عليه وسلم ولمن معه من المؤمنين (أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ) وليس قوله ليسمعوا التوراة كلهم فقد سمعها بضعهم وهم الذين سألوا سيدنا موسى رؤية ربهم فأخذتهم الصاعقة فيها، وقال : محمد بن إسحاق فيما حدثني بعض أهل العلم أنهم قالوا لموسى عليه السلام قد حيل بيننا وبين رؤية ربنا تعالي فاسمعنا كلامه حين يكلمك، فطلب ذلك موسى إلى ربه،فقال : نعم مرهم أن يتطهروا وليطهروا ثيابهم ويصوموا، ففعلوا، ثم خرج بهم حتى أتوا الطور فلما غشيهم الغمام أمرهم موسى عليه السلام أن يسجدوا فوقعوا سجدا وكلمه ربه فسمعوا كلامه بأمرهم حتى عقلوا منه ما سمعوا ثم انصرف بهم إلى بني إسرائيل فلما جاءهم حرف فريق منهم ما سمعوه

---

[1] التفسير العظيم لإسماعيل بن كثير الجزء الأول ، دار المعرفة ص١٤.

[2] سورة البقرة الآية ٧٥.

حين قال موسى علية السلام لبني إسرائيل: إن الله قد أمركم بكذا وكذا قال ذلك الفريق الذين ذكرهم الله تعالي إنما قال كذا وكذا خلافا لما قاله المولي عز وجل لموسى علية السلام) .[1]

إذن هم المعنيون بالتحريف: لقوله تعالي: (أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ) أي يغيرون كلام الله بالتأويل والتبديل (من بعد ما عقلوا أي من بعد ما فهموه بعقولهم).[2]

ثم يأتي مشهد التصوير البياني لحالهم وكيف ينافقون ويراؤون في قوله تعالي: (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)[3] فإنهم إذا لقوا أصحاب الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم يقولون لهم آمنوا بمحمد وأنه هو الرسول المبشر به وأنكم علي حق ، وحينما يفضون إلى بعضهم يقولون كما جاء في كتب التفاسير لماذا اخبرتموهم وافضضتم لهم ما بينه لكم الله في التوراة من صفات سيدنا محمد عليه السلام وما سينزل عليه ، وأن ذلك يكون عليكم حجة يوم القيامة في ترك واتباع سيدنا محمد مع العلم بصدقه. (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) وهنا استفهام توبيخي لبعضهم البعض بما عقلوه ، وعرفوه واخفوه ثم نافقوا به. ثم يأتي الرد الفاصل والقاطع من المولي عز وجل لتوبيخهم: (أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) ألا يعلم هؤلاء اليهود بأن الله يعلم ما يخفون وما يظهرون فكيف يقولون ذلك ثم يزعمون الإيمان!!!

---

[1] تفسير القران العظيم لابن كثير ص١١٥ الجزء الأول.

[2] صفوة التفسير محمد علي الصابوني ص٥٧.

[3] سورة البقرة الآية ٧٦.

ثم الوعيد والتهديد ثم الويل لهم بما وعدهم الله من عذاب وهذا التصوير بالويل يبين هول العذاب وعظمته.

ثم نقف عند المشاهد البلاغية الآتية في قوله تعالي: (أَفَتَطْمَعُونَ) وهذا الاستفهام يحمل معني الإنكار عندما يقرن أول الجملة بالجملة الحالية في قوله تعالي: (وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ) وروعة النظم البلاغي تبدو في دلاله تقديم المسند إليه وحملة علي الفعل في قولة تعالي: (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) وهذا أقوي أسلوب يقابل به المنكر؛ لأنه ينكر أنه مخطئ ، ويكون أشد إنكارا أن يعلم أنه مخطئ.

ويبدو الإعجاز القرآني في تجسيد ظاهرة النفاق في التصوير الحركي في قوله تعالي: (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم) انظر إلى الاستفهام الإنكاري في (أَتُحَدِّثُونَهُم) وفي (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) ونلاحظ الادعاء بالخصوصية في إضافة الرب إليهم في قوله تعالي: (لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ) ونلاحظ الإطار النفسي الذي يسود هذا المشهد هو الإنكار ففي قوله تعالي: (أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) ونقف عند الاستعارة التصريحية في قوله تعالي: (لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) واختتم المشهد بأسلوب التوكيد الذي يحقق خيبة المسعى في قوله تعالي:(فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ) ونلاحظ المجاز المرسل المتمثل في اثر اليد في علاقة السببية.

ثم يأتي بعد ذلك الإخبار فيما ادعوه علي أنفسهم وأنهم لن تمسهم النار إلا أياما معدودة لأنهم يتوهمون أنهم شعب الله المختار ولا يحاسبون

بما يفعلونه وذلك في قوله تعالي: (وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً، قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ، بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ).

يقول بن كثير في ذلك: (يقول تعالي إخبارا عن اليهود فيما نقلوه وادعوه لأنفسهم من أنهم لا تمسهم النار إلا أياما معدودة ثم ينجون منها فرد الله عليهم بقوله : (قل اتخذتم عند الله عهداً) أي اتخذتم بذلك القول عهداً، فإن كان قد وقع عهد فهو لا يخلف عهده ولكن هذا ما جري ولا كان ولهذا أتى (بأم) التي بمعني (بل) أي بل تقولون علي الله ما لا تعلمون من الكذب والافتراء)[1] ثم يأتي قول المولي عز وجل لا ثبات دعاويهم الكاذبة (قُل أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا)[2] أي قل لهم يا محمد علي سبيل الإنكار والتوبيخ هل أعطاكم الله بذلك عهدا ؟! فإن كان قد وعدكم بذلك (فلن يخلف الله عهده) لأن الله لا يخلف الميعاد ، وهنا كشف لحقيقتهم الماكرة الخبيثة وافترائهم علي الله سبحانه وتعالي . نري أنهم يفترون علي الله الكذب فما بالهم بالخلق ؟ ! (أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) أم أنكم تكذبون علي الله فتقولون عليه ما لم يقله، فيجمعون بين جريمتي التحريف لكلام الله والكذب والبهتان عليه جل وعلا وهذا السؤال يفيد التقرير. ومن ذلك نقف علي مشاهد إعجاز القران وروعه نظمه في أسلوب الحوار في قوله تعالي(قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون علي الله ما لا تعلمون).

---

[1] تفسير القران العظيم لا بن كثير الجزء الأول ص١١٨.

[2] سورة البقرة الآية ٨٠.

ونلاحظ استعارة المس للحرق وما توحيه العبارة من تخفيف العقاب وربط المس بالأيام المعدودة ، تأكيدا لتهوين ما يحيق بهم من عذاب.

ثم يأتي تقويم ادعائهم بالاستفهام الإنكاري في قوله تعالي: (أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا) وختم المشهد بالإضراب عن الحوار إلى الحقيقة التي تفضح الكذب والادعاء بقوله بأسلوب تقريري: (ام تقولون علي الله ما لا تعلمون).

ومن ثم يأتي الجواب القاطع في التصوير الكامل لحال الإنسان وعلاقته في الحياة بما حوله وذلك من خلال المنهج الذي وضعه له المولي عز وجل في كتابه وكيفية العقاب والجزاء على العمل وذلك بقوله تعالي : (بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ).[1]

وهنا تري التأكيد من المولي عز وجل لبني إسرائيل بأنهم تمسهم النار ويخلدون فيها وذلك بحسب أعمالهم السيئة وذلك ليس بحسب ما اشتهيتم وتمنيتم ولكن بحسب العمل والجزاء عليه فمن عمل سيئة و أحاطت به خطيئة فأنة في نار جهنم مخلد فيها ابداً.

والتصوير الفني في قوله تعالي: (وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ) هو تصوير بياني في أنه شبه الخطايا بجيش يحيط بالإنسان من كل جانب كإحاطة السوار بالمعصم وهو من باب الاستعارة التي تعطي المشهد قوة ، واستعارة لفظ الإحاطة لغلبة السيئات علي الحسنات، وهنا يطابق الجزاء العمل.

وفي هذا التصوير يقول سيد قطب: (لابد من الوقوف أمام ذلك التصوير الفني المعجز لحالة معنوية خاصة، وإمام هذا الحكم الإلهي

---

[1] سورة البقرة الآية ٨١.

الجازم نكشف عن شئ من أسبابه وأسراره فقوله تعالي: (بلي من كسب سيئة أحاطت به خطيئة) هل الخطيئة مكسب ؟ إن المعني الذهني المقصود هو اجتراح الخطيئة، ولكن التعبير يوحي إلى حالة نفسية معروفة، إن الذي يجترح الخطيئة إنما يجترحها عادة وهو يتلذذها ويستسيقها ويحسبها كسباً له، ولو أنها كانت كريهة في حسه ما إجترحها، ولو كان يحس إنها خسارة ما أقدم عليها متحمساً،ولا جعلها تملأ عليه عالمه،ولو كرهها لهرب منها، وفي تعبير (أحاطت به خطيئة) تجسيم لهذا المعني، وهذه الخاصية من خواص التعبير القرآني وسمه من سماته تجعل له وقعاً في الحس يختلف عن المعاني الذهنية المجردة والتعبير الذي لا ظل له ولا حركة).[1] وبعد ذلك يأتي الحكم المقابل في قوله تعالي : (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ).[2]

إن الإيمان لا يكون حتى ينبثق منه العمل الصالح، وأصحاب هذه الصفة جزاءهم الجنة ولا تمسهم النار وهم فيها خالدين وهي الصفة المقابلة لصفة اليهود لتأكيد ما هم علية من نفاق ومكر وكفر وإن لكل عمل جزاء عند المولي عز وجل.

لقد سبقت الإشارة إلى العهود والمواثيق التي أبرمت مع بني إسرائيل ولم يوفوا بواحد منها وفي الآيات التالية شئ من التفضيل لبعض نصوص هذا الميثاق المتمثل في قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ، وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ

---

[1] في ظلال القران لسيد قطب – ص١١٢.

[2] سورة البقرة الآية ٨٢.

وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ)[1] وهنا يذكر المولي عز وجل اليهود بتلكم المواثيق التي أبرمت مع أسلافهم وكذلك العهود التي اتخذت معهم و أولها عبادة الله الواحد الأحد وآلا يعبدوا غيره وهذا عهد أبرم مع جميع الأمم بما في ذلك أمة سيدنا محمد علية الصلاة والسلام كما جاء في سورة النساء (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ).[2]

وهذا هو حق الله علي العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، ثم بعد ذلك حق المخلوقين وأولهم الإحسان إلى الوالدين ثم بعد ذلك الإحسان لذوي القربى واليتامى والمساكين الذين عجزوا عن الكسب ثم قولوا قولاً حسناً بخفض الجناح ولين القول والجانب ثم بعد ذلك الأمر بالركنين الأساسين هما الصلاة والزكاة لأنهما أعظم العبادات البدنية والمالية، ثم نجدهم قد رفضوا الميثاق والعمل به هم وأسلافهم إلا قليلا منهم قد ثبتوا علي ذلك، ثم اذكروا أيضا يا بني إسرائيل حينما أخذنا عليكم الميثاق بعدم قتل بعضكم بعضا، وآلا تخرجوا بعضكم من ديارهم وتجلوهم عن أوطانهم ثم أقررتم بالعهد والمحافظة علية وأنتم تشهدون بذلك علي نقضه

---

[1] سورة البقرة الآية ٨٣ -٨٦.

[2] سورة النساء الآية ٣٦.

بقتل إخوانكم في الدين ثم تتظاهرون عليهم بالمعصية والظلم ثم إذا آتوكم اساري فككتم أسرهم، وهنا يخاطبهم المولي عز وجل بأنهم ينتهون ويعرضون عن جزء عن الميثاق وينفذون جزء منه وذلك عندما أباحوا القتل والطرد من الديار، ثم أنهم لا يستبيحون فك الأسرى بدفع الديات لهم لا خراجهم من الأسر، فكان المولي عز وجل يقول لهم أتؤمنون ببعض الأحكام التي أنزلت عليكم في التوراة وتكفرون بالبعض الآخر ؟!! فيا عجباً لكم أتجمعون بين الكفر والإيمان؟ وهذا سؤال توبيخي لهم.

ونأتي إلى الجزاء الذي يوجب عليهم وذلك بقوله تعالي: (فما جَزَاءُ مَن يَفعَلُ ذَلِكَ مِنكُم إِلا خِزيٌ فِي الحَيَوةِ الدُّنيَا وَيَومَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ العَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعمَلُونَ، أُولَئِكَ الذِينَ اشتَرَوُا الحَيَوةَ الدُّنيَا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنهُمُ العَذَابُ وَلا هُم يُنصَرُونَ)[1].

يقول المولى عز وجل: ما عقوبة من يؤمن بجزء ويكفر بالآخر إلا ذل وهوان لأنه يعرض استباحتهم لجزء من التوراة والإيمان بالجزء الآخر الذي يريدونه، وهذا تناقض في نفسياتهم المريضة وجزاء ذلك مقت وغضب في الدنيا ثم إلى العذاب الدائم في الآخرة، وهذا وعيد لهم ، ووعيد لكل من يعص أمر الله فجزاؤه النار خالداً مخلداً فيها، ثم ذكرهم المولي عز وجل بالأوصاف القبيحة وهي استبدالهم الرخيص بالثمين وهو استبدالهم للحياة الدنيا الفانية بالحياة الباقية الدائمة الهناء.

ثم يأتي التهديد والوعيد لهم والاستمرارية في العقاب وذلك في قوله تعالي: (فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) أي لا يفتر العذاب عنهم ساعة واحدة وليس لهم ناصر لينصرهم ولا مجير ينقذهم من عذاب الله.

---

[1] سورة البقرة الآية ٨٥ - ٨٦.

ونري من ذلك أن الترتيب في الآية قد جاء حسب الأهمية فقدم حق الله تعالي علي حق العباد لأنه هو المنعم الحقيقي، ثم ذكر الإحسان إلى الوالدين ثم ذوي القربى لأنهم صلة الرحم التي وصى بها الله سبحانه وتعالي آلا تنقطع ثم اليتامى لقلة حيلتهم، والمساكين لضعفهم ودلالة الأمر بالإحسان عام لجميع الناس وهذا من مكارم الأخلاق.

ومن هنا تقرر لنا حقيقتان الأولى هي شمولية ووحدة دين الله وتصديق هذا الدين الأخير والرسالة المحمدية لما قبلها في أصول الدين والثانية هي مقدار تعنت اليهود من هذا الدين والرسالة الجديدة وهي تدعوهم لمثل ما عاهدوا الله علية أعطوه ميثاقه بذلك ثم نقضهم لتلك العهود والمواثيق علي مر السنين والعصور، وأن وعد الله حق في وصف اليهود بنفاقهم ومكرهم، وسيظل حالهم هذا إلى الأبد وما تتغير إلا أساليبه وطرقه.

نقف بعد العرض العام لمعني الآيات ومستخلصاً من روايات المفسرين علي الجوانب البلاغية فنقف عند قولة تعالي: (إذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل) نجد هنا تجسيداً للأمر المعنوي الذي يدل علي أثر المجاز في قوة المعني، ويدل علي أهمية مادة الميثاق؛ لأنها تحدد علاقة الإنسان بخالقة وبأخيه الإنسان في حياة سوية خالية من الشوائب.

ثم في نهاية الآية في قوله تعالي: (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ) لنري البعد الزمني الذي يوحي به حرف العطف (ثم) ويدل علي فضل الله لعبده يمهله ولا يهمله. ونري تقديم المسند إليه وحملة علي الصفة وما فيه من قوة المعني وتأكيده ومطابقة هذا لمقتضى الحال لأنهم لا يعترفون بجرمهم في قوله تعالي: (وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ).

ونلاحظ تكرار اخذ الميثاق والالتفات في الآية من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالي: (وإذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ) وقوة الأسلوب في قطع حجتهم بقوله تعالي: (ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) نلاحظ تكرار ضمير الخطاب متصل مره ومنفصل مره أخرى، وحمل الضمير المنفصل علي الصفة المشتقة مبالغة في توكيد الخطاب وما يوحي به هذا الجرم من عدم الثقة في المخاطب وتجسيد ما ينطوي علية من جرم.

ثم التعريض الواضح في قوله تعالي: (ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ... الخ الآية) وذلك لدلالة اسم الإشارة بعد الضمير المنفصل علي التعريض بغباوة السامع وانه لا يدرك إلا هذه الأشياء المحسوسة.

والاستعارة الممهد لها باسم الإشارة واسم الموصول في قوله تعالي: (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَوةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ) وختم الآية بالأسلوب المؤكد علي عدم نصرهم بقوله تعالي: (وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ).

موقف اليهود من أنبيائهم:

وفي هذا الجزء يصور لنا القران الكريم حال اليهود مع أنبيائهم كما يصور لنا مدي قسوة قلوبهم وصدودها عن الحق بغيهم وضلالهم وتماديهم في هذا الضلال، حتى مع أنبيائهم يحاورونهم لإخداع الشرائع إلى منطقهم وهواهم. وهذه ظاهرة تبدوا علي النفوس المريضة لأن من المنطق أن ترجع الشريعة لمصدر ثابت غير متذبذب وميزان ثابت لا يتأرجح بين حالة الرضي والغضب والصحة والمرض وهو منهج ثابت للحياة غير متقلب الأهواء.

لقد بينا كيف كانت مجادلة اليهود وحجتهم في إعراضهم عن الإسلام بأن عندهم كتب من تعاليم أنبيائهم وأنهم محكومون بها فسرعان ما يأتي القرآن بالقول الفصل ، يبين مدي حقيقة موقفهم مع أنبيائهم واختيارهم للأحكام والشرائع بما تهوي نفوسهم المريضة وفق منهجهم المتقلب، ثم كشف القرآن الكريم محاورتهم وجدلهم البشع مع سيدنا موسى علية السلام وبيّن كيف وصلوا معه إلى الصدود والرفض ثم تأتى الآية التالية لتبين لنا كيفية استكبارهم علي رسلهم وكتبهم المنزلة وتحريفها، قال تعالي: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (1)

---

(1) سورة البقرة الآيات ٨٧-٨٩.

يبدوا جلياً من سياق الآيات أنها إعلام وإخبار للرسول الكريم بعدد الرسل الذين أرسلوا لبني اسرائيل، ونلاحظ بلاغة القران وإعجازه في قولة تعالي: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ، وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ) نقف عند الخبر الإنكاري في قوله تعالي وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) يوضح نفسية اليهود المنكرة ويحدد حجم تجاهلهم لدعوة الحق ورفضهم لكل دعوة وإعراضهم عن كل آية ، ونقف عند النسق العجيب الذي يوضح التدرج في وسائل الإقناع، وهي الكتاب ثم الرسل ثم البينات والنسق بالواو الذي يوضح توالي الحجج دون فواصل، ومع ذلك كانت النتيجة الإعراض والنكر. عندئذ تغير الأسلوب الخبري في الجزء الثاني من الآية إلى الاستفهام الإنكاري في قوله تعالي: (أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)، نلاحظ معيار صلاحية الرسل وهوي النفس، كما بدأت الآية بتدرج البينات ختمت بتدرج الرفض والاستكبار، ثم التكذيب ثم القتل مع جمال سياق بداية الآية بالغيبة وختماً بأسلوب الخطاب.

وكل هذه القصص من إعجاز القران الكريم بالإخبار عن حال الأمم السابقة التي تطابق ما نزل في الكتب السماوية وحالة أقوامهم الذين بُعِثوا إليهم ، يأتي قول اليهود عن تصديقهم للحق بقولهم في قوله تعالي: (وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ)[1]. وهذا الأسلوب أسلوب مواجهه يكشف ما يتستربه هؤلاء اليهود المعاصرين للرسول صلي الله علية وسلم وهو أخبارهم من المولي عز وجل للرسول الكريم ليبين

---

[1] سورة البقرة الآية ٨٨ .

ضلالهم وافترائهم بأسلافهم بأسلوب الحكاية ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ أي ان قلوبهم مغلقة وأنها في أكنةٍ لا تفقه ولا تعي ما تقوله يا محمد (صلوات الله عليك) والغرض من ذلك قنوطه من إيمانهم ثم يرد المولي عز وجل بلعنهم وطردهم و إبعادهم من رحمته بسبب كفرهم وضلالهم.

يقول ابن كثير في تفسير الآية : ((بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ) إن قلوبهم ليست كما ادعوا بأنها غلف وفي أكنة أو أن قلوبهم مغلقة بغلاف وإن قلوبهم كما ادعوا مملؤة بعلم لا يحتاجون إلى سواه. و إنما الأمر ليس كما ادعوا بل قلوبهم ملعونة مطبوع عليها)[1] . كما قال تعالي في سورة النساء: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[2] أي قليل من يؤمن منهم أو يؤمنون إيمانا قليلا، وهو إيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم بالبعض الآخر، ونقف هنا عند التصوير المحسوس وتجسيد المعنويات في هذا الغلاف الذي شمل القلوب.

لقد كانوا يستنصرون بالقرآن الكريم ويستفتحون به فنري ماذا حدث لهم قبل نزوله ؟؟ قال تعالي: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[3] وهنا نري الجملة الشرطية التي تفيد حدوث الجواب لحدوث الشرط وذلك مما يعكس صورة اليهود واستكبارهم وإنكارهم لما يعرفونه وصدودهم عنه وذلك كما جاء في كتب التفاسير أنهم كانوا يستنصرون بكتاب سوف يرسل من الله (وهو القران الكريم) كما جاء في التوراة علي أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم ويقولون إنه سيبعث نبي في آخر

---

[1] تفسير القران العظيم لابن كثير ص١٢٤.

[2] سورة النساء الآية ١٥٥.

[3] سورة البقرة الآية ٨٩.

الزمان نقتلكم معه كقتل عاد و إرمَ كما قال محمد بن اسحق عن عاصم بن عمرو عن قتادة الأنصاري عن أشياخ منهم قالوا: فينا والله وفيهم يعنون الأنصار واليهود الذين كانوا متجاورين نزلت هذه القصة)[1] وفي تعبير الكتاب مجاز مرسل باعتبار ما يكون لأنَّ الذي جاء هدي ونور أنزل علي الرسل ثم كتب، ويبدو الإعجاز في التصوير الحركي لحالة اليهود بين الكفر والإيمان.

ثم يأتي تحقير المولي عز وجل لهم في قوله: (بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ)[2].

وهنا نري جمال الآية في المجاز الذي حظيت به مما اكسبها جمالاً في المعني، فالشراء ليس شراءً حقيقياً ولكنة استبدال شيء بشيء وأنهم استبدلوا الكفر والنفاق والكذب وهذه أشياء تافه وعرض دنيا بالذي هو أحق وهو القران الكريم ورسوله محمد صلوات الله علية .

يقول سيد قطب :(لكأن هذا الكفر هو الثمن المقابل لانفسهم ، والإنسان يعادل نفسه بثمن ما يكثر ويقل فأما أن يعادلها بالكفر فتلك أيأس الصفات وأخسرها، ولكنه هذا الواقع لليهود)[3]

ثم ننتقل إلى الصور البيانية المعجزة التي تصور حال اليهود لعبادتهم العجل وكيف أحبوه حتى امتزج بدمائهم ودخل في قلوبهم وذلك ما تراه واضحاً في الآية الكريمة: (وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ

---

[1] التفسير لابن كثير ص١٢٤.

[2] سورة البقرة الآية ٩٠.

[3] في ظلال القران لسيد قطب ص ١١٨ .

ظَالِمُونَ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[1].

وهنا يعدد المولي عز وجل أخطاءهم ومخالفتهم وإعراضهم عن الميثاق حتى رفع الله عز وجل فوقهم جبل الطور وأمرهم أن يأخذوا بما في التوراة، وهنا تصوير لحالهم في التعبيرين (قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا) والتعبير الثاني (وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ) والمعني المصور للحالتين أنهم عندما رفع عليهم جبل الطور قالوا سمعنا وهذا القول يتنافى مع فعلهم لأنهم لم يردوا بالعصيان ولكنهم فعلوه أي عصوا أمر ربهم بالفعل ولم يكن بالقول ولأن المولي عز وجل كان يدرك نفاقهم وكذبهم، ثم التصوير الثاني وهو حبهم للعجل حتى خالط دماءهم ودخل في قلوبهم.

يقول محمد الصابوني: (أي سمعنا قولك وعصينا أمرك ، وخالط حب العجل قلوبهم وتغلغل في سويدائها)[2] ثم نجد التصوير الحي لهذا المشهد عند سيد قطب: (إنه التصوير الحي للواقع الصامت فإنه واقع ناطق لقد قالوا بأفواههم سمعنا، وقالوا بأعمالهم عصينا والواقع العملي هو الذي يمنع القول الشفوي دلالته وهذه الدلالة أقوي من القول المنطوق، وهذا التصوير الحي للواقع يوحي إلى مبدأ كلي من مبادي الإسلام وهو أنه لا قيمة لقول بلا عمل وإن العمل هو المعتبر، أما الصورة الغليظة التي رسمها في قوله (وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ) فهي صورة فريدة لقد شربوا بفعل فاعل سواهم، واشربوا ماذا؟ اشربوا العجل ،وأين شربوه؟ في قلوبهم)[3].

---

[1] سورة البقرة الآيات ٩٢-٩٣.

[2] صفوة التفسير محمد علي الصابوني ص٦٥.

[3] في ظلال القران سيد قطب ص١٢٠.

قال في تلخيص البيان: (وهذه استعاره المراد بها وصف قلوبهم بالمبالغة في حب العجل فكأنما شربت حبه ومازجها ممازجة المشروب وخالطها مخالطة الشيء الملذوذ)[1]. ثم ننتقل بحديثهم عمن سيدخل الجنة وتحديد ديانته كما قال تعالي: (وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ، بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).[2]

والقول الراجح هنا راجع لليهود والنصارى أي أن كل فئة منهم تقول حسب هواها فيقول اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً ثم تأتي النصارى بدورها وتقول لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً وهذا جدل واضح بينهم لكفرهم وعنادهم وإصرارهم علي الباطل، وتلك هي أماني كل فرقة.

يبدوا إعجاز القران واضحاً في أسلوب الحوار وإشاعة أسلوب القصص النفسي، حيث يتضح من خلال الحوار أماني الكفار، والتعبير عن دواخلهم، واستنطاق ألسنتهم دون أن يدركوا مدي الوهم الذي تسربلوا فيه حتى تكشف الحجة الدامغة في الجزء الآخر من المشهد مدي غفلتهم بقوله تعالي: (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) هذا الأسلوب الإنشائي الذي ختمت به الآية التي بدأت بأسلوب خبري في سياق قصص. والإيحاء الناشئ من قوة أسلوب الإنشاء ينبئ بالعجز عن إجابة الطلب فيترتب علية أسلوب الإضراب الذي يحسم الموقف بقولة تعالي:

---

[1] تلخيص البيان للشريف الرضى-ص٩.

[2] سورة البقرة الآيات ١١١-١١٢.

(بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[1] حيث جدد أسلوب المجاز في قوله تعالي: (بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) فالوجه اشرف أجزاء الكل ، ونلاحظ قوة التعبير التسليم لله وحده ، ويتبع هذه الجملة الحالة التي تبرهن علي صدق التسليم لله والتي تترجم الإيمان بالله إلى إحسان ، فالإسلام دين عملي في قوله تعالي: (وَهُوَ مُحْسِنٌ) عندئذ يستحق الإنسان الأجر والامان في قوله تعالي: (فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ).

نلاحظ إضافة الرب إلى ضمير العبد المحسن وإيحاء القرب من الخالق هكذا يكون سبيل الجنة. وقال المفسرون: إسلام الوجه لله يعني إسلام النفس لطاعة الله وقد يكني بالوجه عن النفس كما قال تعالي: (كل شئ هالك إلا وجهه).

وقال زيد بن نفيل:

وأسلمت وجهي لمن أسلمت

له الأرض تحمل صخراً ثقالا

وأسلمت وجهي لمن أسلمت

له المزن تحمل عذباً زلالا [2].

---

[1] سورة البقرة الآية ١١٢.

[2] التفسير الكبير ج٤ ص٤ ، صفوة التفسير لمحمد علي الصابوني ص٧٦.

الفصل الثالث

الأمّـة الوسـط

ويحتوي على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول

خصائص الأمة الوسط

المبحث الثاني

القواعد التي يقوم عليها التصور الإيماني

المبحث الثالث

الإسـلام ونظم الحياة الاجتماعية

الفصل الثالث

الأمة الوسط

المبحث الأول

خصائص الأمة الوسط

حادثة تحويل القبلة وملابساتها:

في هذا الجزء من السورة يريد المولي عز وجل أن يحقق الكيان المستقل لهذه الأمة وتحديد شخصيتها وانفرادها بكل شعائرها وممارستها وشرائعها وكيفية جعلها أمة وسطاً ليلتقي عندها جميع أهل الكتب السماوية ، لأنها أمة تؤمن برسلهم وكتبهم ، ودعوتها تشمل دعواتهم وتزيد ، فهي مكمل لاتباع الرسل السابقين سواءاً كانوا من اليهود أم النصارى .

فالوسطية في هذا الجو المعتم الملبد بغيوم النفاق والكذب وكثرة الجدل وذلك لما طرأ علي الرسالات السابقة من تبديل وتحريف مطلوبة للتوازن والاستعداد لدرء الخطر ، بالتروي والرشد وذلك ما نراه واضحاً في الآيات التالية .

يقول المولي عز وجل في محكم تنزيله: (سيقول السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ، قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً

تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)[1].

تبدو المظاهر البلاغية في هذا الأسلوب الذي يجمع بين السرد القصصي للأحداث ، وبين أسلوب الحوار ، والكشف عن الجوانب النفسية ، وبين الرد الحاسم علي المتشككين الذين يبذرون بذور الفتنة. فالسرد القصصي في قوله تعالي: (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا؟) .

نلاحظ الجمع الرائع بين الخبر والإنشاء في أسلوب سهل ممتنع كما يقول النقاد البلاغيون . وتختم الآية بأسلوب قصر الصفة علي الموصوف، وفي نفس الوقت يكون إجابة شافية للسؤال المبطن بالفتنة في الجزء السابق من الآية في قولة تعالي: (قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) وتظهر روعة البلاغة في كمال الاتصال بين القصر السابق وبين الغاية منه بالإجابة عن التساؤل المثير للفتنة حيث تمخض الموقف عن الهداية الإلهية بقوله تعالي: (يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) وبهذا السلوك من المسلمين بالإيمان من كل الرسل وبالتوجه إلى بيت المقدس وجعله قبلة والتوجه إلى الكعبة وجعلها قبلة تكونت وسطية الأمة المسلمة في شهادتها وشهادة الرسول علية الصلاة والسلام بطاعتها واستسلامها لأوامر الله بالتوجه إلى القبلة الجديدة التي هي الفيصل بين المؤمن المتيقن والمنافق و المتردد .

أما الكشف عن الجوانب النفسية فيوضحه أسلوب الكناية الرائع في قوله تعالي: (قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا) .

---

[1] سورة البقرة الآية من ١٤٢ ١٤٤ .

نلاحظ ان أسلوب البلاغة في الكشف عن المعاني الخفية عندما نري بداية الآية بالخبر الطلبي ، ونربط بين قوله تعالي نهاية تمام المعنـــي: (قبلـــة ترضاها) ونقف عند (فاء) الفصيحة كما يقول النحويون في قوله تعـــالي: (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) والمجاز المرسل في دلالة الوجه وهو أشرف أجزاء الجسد عليه وختمت الآيـــة بأســلوب كمال الانقطاع حيث أن الجزء الأخير منها جملة خبرية لفظاً ومعنـــي ، وسابقتها إنشائية لفظاً ومعني. وذيلت الآية بأسلوب التوبيـــخ فـــي قولـــه تعالي: (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) هكذا كان القران معجزاً لأرباب الفصاحـــة والبيان.

ثم ننتقل إلى تصوير حاله الرسول صلي الله عليه وســلم ورغبتـــه الشديدة في تحويل القبلة كما يتضح من أقوال المفســرين لكـــثره حجـــج اليهود في ذلك لذا أراد الرسول الكريم أن تكون له قبله يرضاها، ونـــراه متأدبا مع ربه لا يفصح بالدعاء ولكنه يقلب وجهه فـــي الســماء حـــال المرتجي المنتظر لقبول دعواه حتى يأتيه الروح الأمين بـــالخبر اليقيـــن ليزيل تلك الحيرة وهنا صور لنا القرآن الكريم المعجز حاله الرســـول الكريم عليه أفضل الصلوات النفسية القلقة لساعة الإجابة وما ذلك كله إلا لأنه بشر ولكي يبين للناس أن الرسول عليه السلام يدعـــو الله وينتظـــر الإجابة حاله حال البشر في السؤال والدعاء وذلك من الإعجاز ليبيـــن الله للناس أن الرسول بشراً يشعر بما يشعرون وينتظر البشري التـــي هـــي سرعان ما تأتيه من عند المولي عز وجل حيث قـــال:(قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ)[1] أي كثيراً ما رأينا تترد بصرك إلي السماء متشوقاً لقبول دعائك

---

[1] سورة البقرة الآية ١٤٤ .

والاستجابة له ، وهو تحويل القبلة، وقال تعالي : (فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا) اي لنوجهك إلى قبلة تحبها وترضاها وهي الكعبة المشرفة قبلة أبيك إبراهيم. وهنا يأتي الأسلوب الطلبي أسلوب الأمر ليكون بيناً للناس بأنه أمر لكل مؤمن أن يتوجه إلى القبلة المطلوبة . يقول المولي عز وجل : (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)[1].

الشطر في اللغة الوِجْه وقد يعني النصف والمقصود به الأمر في التوجه إلى المسجد الحرام والتعبير بالمسجد الحرام عن الكعبة إشارة أن الواجب مراعاة الجهة دون العين كما يقول محمد علي الصابوني في صفوة التفسير)[2] .

قال القرطبي: روي ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول صلي الله عليه وسلم قال: (البيت قبلة لأهل المسجد والمسجد قبلة لأهل الحرم والحرم قبلة لأهل الأرض في مشارقها ومغاربها من أمتي)[3] وقال تعالي: (وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) أي حينما كنتم أيها المؤمنون فتوجهوا في صلاتكم إلى الكعبة المشرفة ثم يأتي قول المولي عز وجل لكشف حال اليهود ونفاقهم بان يعلموا أن هذا التحويل للقبلة هو من عند الله ولكنهم يفتنون الناس بإلقاء الشبهات ، ولكن لا تخف علي الله خافية وذلك بوعيده وتهديده لهم بأنه سيجازيهم بأعمالهم . وذلك في قوله تعالي: (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) .

---

[1] سورة البقرة الآية ١٤٤ .

[2] صفوة التفسير محمد علي الصابوني ص ٨٩ .

[3] تفسير القرآن العظيم – ابن كثير الجزء الأول – ص ١٩٣ .

ونجد المجاز المرسل في قوله تعالي: (فَوَلِّ وَجْهَكَ) أطلق الوجه وأراد به الذات كقولة تعالي: (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ)[1] .

ومن الإعجاز والحكمة نجد تكرار الأمر باستقبال القبلة يرد ثلاث مرات.

قال القرطبي: (والحكمة في هذا التكرار أن الأول لمن هو بمكة والثاني لمن هو ببقية الأمصار والثالث لمن خرج في الأسفار)[2] .

يقول سيد قطب في ذلك: (هو تأكيد لابطال حجج أهل الكتاب وغيرهم ممن كانوا يرون المسلمين يتوجهون إلى قبلة اليهود يميلون إلي الامتناع بما يذيعه اليهود من فضل دينهم علي دين محمد صلي الله عليه وسلم)[3]. وذلك في قوله تعالي: (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ، وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[4].

ثم نجد في صفوة التفسير ما يوضح حقيقة التكرار بقوله: (وفائدة هذا التكرار أن القبلة كانت أول ما نسخ من الأحكام الشرعية فدعت الحاجة إلى التكرار لأجل التأكيد والتقرير و إزالة الشبهة)[5]. ثم قوله: (لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ) . لئلا يحتج عليكم اليهود بأنك تجحد دينهم وتتبع قبلتهم فيحاجوكم بذلك.

---

[1] سورة الرحمن الآية ٢٧ .

[2] للقرطبي ج٢ ، ص ١٦٨ .

[3] في ظلال القران سيد قطب ، ج ١ ، ص٢٠ - ٢٦ .

[4] سورة البقرة الآيات ١٤٩ ١٥٠ .

[5] صفوة التفسير ، محمد علي الصابوني ، ص ٩١ .

او كقول المشركين بأنك يا محمد (صلي الله علية وسلم) تدعي ملة إبراهيم علية السلام وتخالف قبلته، ثم يقول المولي عز وجل: (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي) أي فلا تخشون الذين ظلموا بل اخشوني أنا الله الواحد الأحد لأتم فضلي عليكم و أهديكم إلى قبلة أبيكم إبراهيم عليه السلام لنتم لكم هدايتي ولتنالوا سعادة الدارين وذلك في قوله تعالي: (وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ).[1]

ثم ننتقل إلى الآيات التالية التي تذكر المؤمنين بنعم الله عليهم والنعمة الكبرى إلا وهي بعثة النبي الخاتم سيد المرسلين سيدنا محمد صلي الله علية وسلم بقوله تعالي: (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ، فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ)[2].

وهذا الحديث متعلق بما قبله في قوله تعالي: (وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) والمعني كما أتممت عليكم نعمتي وبها ترجي وتمني لكم بالهداية ، وكذلك أرسلت منكم رسولاً ، وذلك للترغيب في الهداية يتلوا ويقرأ عليكم القران ، وذكر (آيَاتِنَا) مجاز مرسل أطلق الجزء و أراد قراءة القران بكاملة وبما فيه من توحيد وأحكام ، ويطهركم مما كنتم فيه من دنس الجاهلية لأنكم أمة مختارة لقيادة الأمة المسلمة ولابد لها من شروط ومواصفات لتحمل الرسالة والبعثة ثم ليعلكم، ليعلمكم ماذا ؟ الكتاب والحكمة أي يعلمكم ما تحمله هذه الرسالة في كتابه القران وما اشتملت

---

[1] سورة البقرة الآية ١٥٠ .

[2] سورة البقرة الآيات ١٥١ ١٥٢ .

علية من حكم وهي أحكام الكتاب الجديد وبيان المادة الأصلية فيه وهي الحكمة التي توزن المواضيع بميزانها الصحيح وإدراك الغايات والتوجيهات ، ولذا كانت التزكية والتطهير لهذه الأمة ، (وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) أي يعلمكم ما لم تكونوا تعلمونه في الجاهلية التي كانت تسفه العقول فانتقلتم ببركة تعليم القرآن والحكمة والمادة التي احتواها فأصبحتم بنعمته أعلم الناس و أطهرهم و أذكاهم ثم تعلمتم أمور دينكم ودنياكم وهذا الكتاب الذي بين يديكم هو الجامعة الكبرى التي تخرجت منها تلكم الأجيال السابقة التي كانت قادة البشرية وهي القيادة الحكيمة الراشدة لذا فضلت هذه الأمة .

ثم يأتي تذكير الله لهذه الأمة بأن يذكروه بالعبادة والطاعة المتمثلة في الأعمال والأفعال وعبادة الله خالصة لوجهه الكريم ولهذا مقابل من عند المولي عز وجل وهو يذكرهم بالثواب والمغفرة ، ونري هنا المقابل في ذكر العبد للرب حيث يذكره في ملإٍ صغير وهو ملأ الأرض ومقابل ذلك سوف يذكره الله في ملإٍ أحسن وأفضل منه وهو ملأ الكون كله بما في ذلك ملائكته

ومن الحديث الصحيح: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم قال الله عز وجل (يا بني آدم إن ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي وإن ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ من الملائكة ، أو قال في ملأ خير منه ، وإن دنوت مني شبراً دنوت منك باعاً وإن أتيتني تمشي أتيتك هرولة)[1] ثم قوله تعالي :(وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ)[2] أي اشكروا نعمتي

---

[1] كتاب كشف الغمة لجميع الامة للامام عبد الوهاب الشعراني ، فصل في الاكثار من ذكر الله سراً وجهراً ، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ص ٢٩٦.

[2] سورة البقرة الآية ١٥٢ .

عليكم ولا تكفروها بالجحود والعصيان، والشكر يبدأ بالاعتراف بفضل الله والحياء من معصيته والتجرد لشكره من كل فعل وحركة وقول، وقد روي ان موسى عليه السلام قال: (يا رب كيف أشكرك قال له ربه : (تذكرني ولا تنساني ، فإذا ذكرتني فقد شكرتني ، و إذا نسيتني فقد كفرتني)[1] .

متطلبات التكاليف :

بعد تقرير تحويل القبلة وما تبعه من الأخبار و إفراد الأمة المسلمة بكيانها الخاص المميز الذي يتفق مع حقيقة تصورها لذا وجب عليها أن تستعين بالصبر والصلاة علي تكاليف الدور العظيم الذي سوف تعد له ، والاستعداد لبذل التضحيات التي سوف يتطلبها الدور من استشهاد ونقص في الأموال والأنفس والثمرات والخوف والجوع وتحمل أهوال الجهاد لنشر هذا المنهج الجديد في أنفسهم أولا ثم في الأرض بين الناس ثم تكليف وتجرد هذه الأمة لعبادة الله الواحد الأحد لابتغاء مرضلة الله ورحمته وهدايته للعالمين ، وذلك بقوله تعالي مخاطباً هذه الأمة المؤمنة كما جاء في صفوة التفسير: (نادي الله سبحانه وتعالي عباده المؤمنين بلفظ الإيمان لاستنهاض هممهم للامتثال لأوامر الله وهو النداء الثاني في هذه السورة الكريمة)[2] ولقد كان النداء الأول في الآية الكريمة : (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا)[3] .

---

[1] مختصر ابن كثير ج١ ، ص ١٤٢ .

[2] صفوة التفسير محمد علي الصابوني ص٩٢ .

[3] سورة البقرة الاية ١٠٤ .

بعد تذكير المؤمنين بنعم الله عليهم يأتي أسلوب النداء لاستنهاض الهمم ولتعبئة هذه الأمة لامتثال الأوامر الإلهية لكي تستعد للأدوار التي سوف تخوضها ، إذن لابد من تقويتها بهذه العبادة من صلاة واستشهاد وصبر علي المكاره ويتجلى ذلك في الآية الكريمة بقولة تعالي: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ، وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أُوْلَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[1] .

وهنا جملة طلبية فيها نداء لهؤلاء المؤمنين يأمرهم فيها بالاستعانة بالصبر والصلاة. فقد تكرر ذكر الصبر في القران كثيراً وذلك ليبين مدي المشقة والجهد الذي سوف يقابل هذه الأمة في الاستقامة علي الطريق السوي فذكر المولي عز وجل الصبر أولا لأن العبادات تستوجب الصبر وتطويع النفس ومِرانها لممارسة العبادة وذلك يتطلب جهد ومشقة لتقويم النفس وهناك كثير من تبين فضل الصبر منها :

إن خباب بن الإرث رضي الله عنه قال: (شكونا إلى رسول الله صلي الله علية وسلم متوسد بردة في ظل الكعبة فقلنا : إلا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟ فقال علية السلام : قد كان قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض ، فيجعل فيها ، ثم يؤتي بالمنشار فيوضع علي رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط من الحديد ما دون لحمة وعظمة وما يصده ذلك عن دينه ... والله ليتمن الله تعالي هذا الأمر حتى يسير الراكب من

---

[1] سورة البقرة الآيات ١٥٣-١٥٤-١٥٥-١٥٦-١٥٧ .

صنعاء إلى حضرموت فلا يخاف إلا الله والذئب علي غنمه ولكنكم تستعجلون)[1] .

ثم حديث آخر: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (كأني انظر إلى الرسول صلي الله عليه وسلم يحكي نبياً من الأنبياء عليهم السلام، ضربه قومه فأدموه ويمسح الدم عن وجهة وهو يقول: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)) .[2]

ثم بعد ذلك ذكر الصلاة لأنها الصلة المباشرة بين الإنسان وربه وبها ترويح للنفس المجهدة فكان الرسول ، الله عليه وسلم عندما يشتد عليه أمر يقول: (أرحنا بها يا بلال) وكان إذا مر بأمر شديد يكثر من الصلاة لأنها طهارة روحيه بأذكارها ورياضة بدنية بحركاتها ونظافة جسدية بوضوءها لذا فإنها تنهي عن كل الرذائل وبالصبر ينال المرء الفضائل .

وهنا يأتي التأكيد لمن يصبر ويصلي بقوله تعالي: (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) أي إن الله مع الذين آمنوا بالنصر والمعونة والحفظ .

وبعد ذلك نقف علي مظاهر الأسلوب البلاغي في قوله تعالي : (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ) التشبيه هنا يشير إلى نسق التجانس بين قبلة المسجد الحرام المحببة إلى للرسول صلي الله علية وسلم والتجانس بينها وبينه لأنها موطن أهله وقبلة أبيه إبراهيم علية السلام وأيضا التجانس بين النبي صلي الله علية وسلم وبين أمة العرب فهو منهم ولسانة لسانهم.

ومن المظاهر البلاغية كمال الانقطاع الذي شمل جمل هذه الآية فهي رغم اتفاقها في الخبرية إلا أنها تختلف في المضمون ، لهذا ربطت

---

(1) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للإمام أبي زكريا يحي بن شرف النووي ص٢٣ أخرجه البخاري وأبو داؤود والنسائي.

(٢)كتاب صحيح مسلم – المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي المجلد الرابع باب الجهاد ص ٥٣٤ .

بحرف النسق وهو الواو في قوله تعالي : (يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ) .

وكذلك الآية التالية فجملها كلها إنشائية لكنها مختلفة المضمون أيضا لهذا احتاجت لأداة الربط في قولة تعالي : (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ) والآية التالية في هذا المشهد علي الرغم من اشتمالها علي أسلوب الخبر والإنشاء إلا أنها اتسمت بكمال الاتصال ، حيث ان الجزء الأخير من الآية وهو خبري لكنه عبارة عن جواب نشأ من الجزء السابق له في الآية وتقديره (لماذا نستعين بالصبر ؟) فكانت الإجابة قوله تعالي : (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) .

ولا يفوتني الخبر الطلبي هنا ودلالته علي صعوبة الصبر علي الناس ، ثم نأتي إلى آيات التعبئة التي تبث في المؤمنين روح الشجاعة والتضحيات لما سيلاقونه في المدينة من مشقات وجهد في نشر الدعوة الإسلامية وما يتطلب ذلك من تضحيات في الأنفس بأن هناك شهداء وهذا تبشير لهم بأن الشهداء أحياء عند ربهم ، ثم ما يلاقونه من جوع وخوف وغيرة ، وذلك ما نراه واضحاً في قوله تعالي: (وَلاَ تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ) . وفي هذه الآية إخبار بالغيب عما سوف يلاقونه الشهداء وهنا نهي حقيقي من المولي عز وجل للمؤمنين بأن الذي يقتل مجاهداً في سبيل الله بأنه حي يرزق ولكنهم لا يشعرون .

وهنا يظهر القصر الحقيقي بقصر الصفة علي الموصوف فقصر ربنا الحياة والديمومة للشهيد الذي يقتل في سبيل الله لكنهم لا يشعرون به، ولا تقولوا لهؤلاء الشهداء أموات بل هم أحياء عند ربهم يرزقون في

حياة برزخيه أسمي من هذه الدنيا كما جاء في صحيح مسلم: (إن أرواح الشهداء في برزخهم أحياء يرزقون كما في الجنة حيث شاءت ، ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش فاطلع ربك عليهم اطلاعه فقال: (ماذا تبغون ؟ فقالوا وأي شي نبغي وقد أعطيتنا ما لم يعط أحدا من خلقك !! ثم عاد عليهم بمثل ، ثم رأوا أنهم لا يتركون من أن يسألوا ، قالوا نريد أن تردنا إلى دار الدنيا فنقاتل في سبيلك حتى نقتل فيك مرة أخرى ، لما يرون من ثواب الشهادة ، فيقول الرب جل جلالة (أنى كتبت أنهم إليها لا يرجعون))[1] .

ونجد في تفسير ابن كثير الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن الإمام الشافعي عن الإمام مالك عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه: (قال رسول الله صلي الله علية وسلم: (نسمة المؤمن طائر تعلق في شجرة الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه)[2]

ونجد نص هذا الحديث لعموم المؤمنين وإن كانوا الشهداء قد خصصوا بالذكر في القرآن الكريم تكريماً لهم .

يتبين لنا من هذه الأحاديث أن الشهداء هم الذين يدافعون عن الحق في سبيل الله ولا هدف ولا غاية إلا الله الواحد الأحد وفي سبيل هذا الدين الذي اختاره كما قال أبو موسى الأشعرى رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الرجل الذي يقاتل بشجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء ، أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال : (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)[3].

---

(1) الجامع الصحيح للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري الميسابوري المسمى بصحيح مسلم الجزء الثاني دار الجيل بيروت .

(2) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ، المجلد رقم ٦ ص ٤٤٣ الموطأ ، للإمام مالك ص٤٩ .

(3) الموطأ للإمام مالك ، باب الجنائز ص٤٩ .

ثم يمضي السياق في التعبئة لمواجهة الأحداث التي تتطلب من المؤمن الخالص الصبروذلك في قوله تعالي: (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)[1].

وفي هذه الآيات نرى المولى عز وجل يريد لهذه النفوس تربية خاصة وصقل خاص ، وذلك لا يكون إلا بالبلاء لأن فيه تربية للنفوس فتتعدد ألوان البلاء لتكشف عن تلك النفوس القوية ، لذا وضع المولي عز وجل هذا الاختبار الصعب بالبلاءات سواء كانت بشي من الخوف أي بقليل منه لأن الخوف يظهر علي الإنسان كما قال تعالى : (فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ).[2]

لما ينعكس علي الإنسان من تغيير بسبب الجوع والخوف لتأثيرهم الواضح علي نفسية الإنسان وما ينعكس عليه في شكله فبالصبر يقاومه . ثم نأتي إلى نقصان المال بأي بلاء أي ذهاب بعض الأموال ثم نقص الأنفس بالموت موت قريب أو حبيب وكذلك النقص في الثمار الأشجار والزروع وكل ذلك إبتلاءات من المولي عز وجل لامتحان العبد المؤمن الصابر ، وكل هذه المشقات ما هي إلا تكاليف وهي الثمن النفيس الذي تُعزّ العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تعز في نفوس الآخرين ، والإنسان لا يدرك قيمة الشي إلا بفقدانه فالابتلاءات تعظم أمر العقيدة وتقوي النفس وعندئذ يأتي النصر من عند الله للعبد الصابر المتوكل عليه ويدخل الناس في دين الله أفواجا بتعظيم الأمة لعقيدتها .

---

[1] سورة البقرة الآيات ١٥٥-١٥٦-١٥٧ .

[2] سورة النحل الآية ١١٢ .

يقول سيد قطب : (إذن لابد من البلاء ليصلب عود المؤمن وأصحاب العقيدة ويقوي فالشدائد تستجيش مكنون القوي مدخور الطاقة ، وتفتح في القلب منافذ ومسارب ما كان للمؤمن أن يعلمها في نفسه إلا تحت مفارق الشدائد والقيم والموازين والتصورات ما كانت لتضح إلا بالمحنة التي تزيل الغشاوة من العيون وتنور البصيرة) .[1]

إذن الملجأ من ... هو الله الواحد الأحد فالبشري تأتى لمن صبر وآمن ورضي بقضاء الله وقدرة وذلك في قولة تعالي : (وَبَشِرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ). [2] أي بشر الذين صبروا علي المصايب بأن لهم الجنة ثم يأتي تعريفهم من المولي عز وجل ، أي هم الذين ألمت بهم مصيبة ونزل بهم كرب وبلاء ثم وحدوا الله بأنهم عبيده ويفعل بهم ما يشاء وهذه وحدانية الفرد المؤمن المتقبل إلى المولي عز وجل المقر بعبوديته للمولي جل وعلا وهؤلاء الموصوفون بهذه الصفات عليهم رحمة من ربهم وهم المهتدون إلى طريق السعادة والنعم وذلك في قوله تعالي: (أُولَئِكَ عَلَيهِم صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِم وَرَحمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ المُهتَدُونَ). [3]

ونري صورة القصر علي هؤلاء المهتدين وهو قصر الصفة علي الموصوف وهو قصر حقيقي لأنه لا مهتدى إلا هؤلاء الذين صبروا علي الابتلاءات .

ومن كل هذا تنشا الوسطية التي كرمنا بها الله في قوله تعالي : (وَكَذَلِكَ جَعَلنَاكُم أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُم شَهِيدًا) .[4]

---

[1] في ظلال القران ، لسيد قطب ، ج٢ ص٣٩.

[2] سورة البقرة الآية ١٥٦ .

[3] سورة البقرة الآية ١٥٧.

[4] سورة البقرة الآية ١٤٣ .

المبحث الثاني
القواعد التي يقوم عليها التصور الإيماني

لقد بدأ القران الكريم في تصحيح عدد من القواعد والشعائر التي يقوم عليها الإسلام لذلك كان لابد من التوضيح ، لأن اليهود في المدينة كانوا لا يزالون يلبسون الحق بالباطل ويخفون ما أمرهم به الله ويتحفظون عليه لذلك وجب تصحيح تلك الشعائر التي كان الناس عامة يؤدونها بما في ذلك السعي بين الصفا والمروة .

لقد تحرج الذين سبقوا للإسلام الطواف بهما لأنهم كانوا يطوفون بهما في الجاهلية فكره المسلمون الطواف بهما في الإسلام وذلك واضحاً في حديث محمد بن يوسف عن سفيان عن عاصم بن سليمان حيث قال : (سالت أنس عن الصفا والمروة قال :كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية فلما جاء الإسلام أمسكنا عنهما فأنزل الله عز وجل الآية الكريمة ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾)).[1]

قال الشعبي: (كان اساف علي الصفا ونائله علي المروة وكان في الجاهلية يطوف بهما المشركون ويتمسحون بهما فخشي المسلمون أن يتشبهوا بأهل الجاهلية ولذلك تحرجوا بالطواف بهما وكان سبب نزول الآية السابقة الذكر وأنه لا حرج لمن سعي بينهما). [2]

لقد ورد كثير من الأخبار عنهما في تفسير بن كثير وذلك للفزع الذي أصاب المؤمنين والقلق الذي انتابهم خوفاً من الله وذلك كله للتغيير

---

[1] الدر المنثور للسيوطي تحقيق محمد علي الصابوني ج ١ ، ص ١٥٩.

[2] صفوة التفسير ، محمد علي الصابوني ص٩٥ ، تفسير بن كثير ص١٩٩ بتصرف .

الذي حدث لهم بالإيمان والتأثر الواضح بالرسول الكريم صلي الله عليه وسلم وما يحملونه من وحدانية خالصة لوجه الله لذا انتابهم الشك بأن الصفا والمروة من أعمال الجاهلية وهنا جاء التوضيح والتصحيح من المولي عز وجل لهذه الشعيرة فالصفا والمروة جبلان قرب البيت الحرام وأنهم من شعائر الله أي أنهم من مناسك الله فيقول المولي عز وجل : من أتى حاجاً أو معتمراً فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، وهنا أتى الفصل بين الطواف القديم طواف الجاهلية الموروث وبين الطواف الجديد وهو الطواف بهما لعبادة الرب الواحد الأحد وذلك بقوله تعالي : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ، وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ .[1]

لقد أقر الإسلام كل شعائر الحج التي كان العرب يؤدونها ونفى كل ما يمت إلى الأوثان وأوهام الجاهلية . لذا ختمت الآية لمن تطوع بالخير وهذا به تلميح بأن الطواف من الخير وإن الله سوف يجازي عليه بالخير كل حسب نيته إذا كان طواف الحج أو طواف العمرة تطوعاً أو مفروضاً .

ننظر في الجانب البلاغي في هذه الآية بعد آراء المفسرين حيث بدأت الآية بالأسلوب الطلبي الذي يوافق مقتضى الحال وهو تردد المؤمنين من أداء هذه الشعيرة كما قال المفسرون ، ونري أسلوب القصر الذي يتمثل في تقديم ما حقه التأخير ، ونخلص من هذا النسق البلاغي إلى جعل هذه الشعيرة خالصة لله وحدة مقصورة عليه لا تتعداه إلى غيره في قوله تعالي : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ .

---

[1] سورة البقرة الآية ١٥٨ .

ونلاحظ (فاء) الفصيحة في الربط بين هذه الحقيقة وتأسيس العبادة علي القاعدة الجديدة المتسقة مع الإيمان ، وتأكيدا لإزالة الشك من أنفس المؤمنين ، جواب الشرط أتى بقوله تعالي : (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا) ونلاحظ تضعيف الفعل ودلالته علي تكرار الحدث .

وختمت الآية بالمجاز المرسل وعلاقته السببية فالشكر مسبب عن الجزاء علي طواف التطوع .

ثم ننتقل إلى أهل الكتاب الذين يكتمون ما أنزل عليهم في رسالتهم وكتبهم التي أُرسلت لهم بوصف الرسول الكريم عليه أفضل الصلوات ثم بهذه الدعوة الجديدة آلا وهي الإسلام وذلك بقوله تعالي :(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ، إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ).[1]

وهنا وعيد شديد لمن كتموا ما جاءت به الرسل من الدلالات والقواعد السليمة التي تدل علي صدق النبي الكريم من بعد ما وضحه المولي عز وجل في كتبة التي أنزلها علي عبادة بواسطة الرسل وهنا تأتى اللعنة عليهم بقبيح أفعالهم من كتم أوصاف الرسول عليه أفضل الصلوات ، ثم تحريفهم للتوراة ، فيلعنهم الله ويبعدهم من رحمته ثم تلعنهم الملائكة والناس أجمعين .

---

[1] سورة البقرة الآية ١٥٩- ١٦٢ .

وهنا تري تفصيل اللعنة لتأكيد طردهم من الإيمان والرحمة . عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: (من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار).[1]

لقد استثني الله تعالي من هؤلاء القوم الفاسقين الذين تابوا ثم تحدثوا بما أرسلت به الرسل وبينوه لذا تاب عليهم وهو التواب الرحيم وهو الذي بيده مقاليد كل شئ وإن الله تعالى برحمته يمهل العبد حتى يرجع من ضلالة وتيهه وذلك واضح في قوله تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) .[2]

ثم نرى حال الذين تمادوا في غيهم ولم يتوبوا فعليهم لعنة الملائكة والناس أجمعين بما كتموا وتمادوا في طغيانهم يعمهون لهم النار خالدين مخلدين فيها أبدا ولا يخفف عنهم العذاب (وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) وهذه جملة اسمية تفيد دوام النفي واستمراره وذلك واضحاً في هذه الآية : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) .[3]

القاعدة الأساسية للوحدانية هي وحدة الإله وأنه لم يكن هناك جدل حول الاعتقاد بوجود إله وإن اختلفت التصورات حول ذاته وصفاته . وهنا إخبار من المولي عز وجل بتفرده بالألوهية وأنه لا شريك له وأنه هو الواحد الأحد الصمد الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم المتفرد

---

[1] رياض الصالحين باب فضل العلم تعلماً وتعليماً رواه ابو داؤود والترمزي وقال حديث باسناد حسن ص ٤٨٠ - وكتاب كشف القمة لجميع الامة باب فضل العلم والعلماء للامام عبد الوهاب الشعراني مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني ص ١٧٠ .

[2] سورة البقرة الآية ١٦٠ .

[3] سورة البقرة الآية ١٦٢ .

بالعبادة وصيغ المبالغة في قوله: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) للمبالغة في الترغيب لمن طلب الرحمة من عبادة وبابه مفتوحٌ، ووصف الله نفسه بالرحمن لأنه يرحم الناس والرحيم لأنه هو العطوف عليهم ، وكل هذا التأكيد لهذه الوحدانية لتوحيد الجهة التي تصدر منها الأوامر للخلق وذلك لخلق منهج قويم سليم ينظم هذه الحياة بكل أوجهها وصورها وذلك كما جاء في الآية السابقة .

ومن هنا نتابع نسق أسلوب التوكيد في الآيات ويتضح ذلك في بداية الآية بقوله تعالي: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ) وتقديم الاسم وحمله علي الفعل في قوله تعالي: (أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ) وقوله: (فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ) وقوله : (وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) مع ملاحظة صيغ المبالغة .وقوله تعالي: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ) التأكيد (بأن) والجملة الحالية وحمل اسم الإشارة علي المصدر .هكذا يبدو إعجاز القران في الإيحاء بالجو النفسي، والنسق المتكامل للصورة الكلية بما فيها من عقاب ورحمة .

ثم ننتقل إلى المخلوقات بنظامها الكوني المرتب المنظم فإذا تفكر الإنسان في هذه المخلوقات لعرف عظمة الخالق في بدائع صنعة ثم ليستدل العاقل بالأثر علي وجود المؤثر وبالصنعة علي عظمة الصانع والخالق المدبر الحكيم وذلك ما نراه جلياً في الآيات التالية : قال تعالي: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ، وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً

يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ).[1]

لقد نبه المولي عز وجل عبادة بأن يتفكروا في خلق السموات والأرض وهذه الصنعة العجيبة المبدعة التي يرونها أمامهم شاهدة علي قوة الخالق ووحدانيته إن في خلق السموات والأرض آية من آيات الله وإن السماء مرفوعة بلا عمد ولا شئ يسندهما أما في ذلك من إعجاز للرائي! ؟.

ثم انبساط الأرض وإمكانية العيش فيها بالرغم من كرويتها ، فنري الأشياء ثابتة بفضل علمه وعلو مرتبته في خلقة بأن جعل لها جاذبية للأشياء ليكون التوازن والاستقرار ، أو ليس ذلك من عظمة وقدرة الخالق ؟ ثم أيها الإنسان الضعيف أما تري في اختلاف الليل والنهار لآية عجيبة ثم أنه قد يطول ويقصر أحدهما بتعاقب الفصول أليس ذلك كله من الإعجاز ؟ فيا عجباً لك أيها المخلوق الضعيف ، أما تستدل بكل آية لعظمة الخالق! ثم إنك بقدرة الله قد صنعت تلك السفن وحملتها بالأشياء الثقيلة أو بتلك الضخامة تسير بقدرة الله علي سطح الماء بما ينفعك . ثم لم تفكر في هذه المياه التي تنزل وتتساقط بقدرة الله من السماء فيحيا زرعك بعد أن كانت الأرض جدباء قاحلة فيحيا العباد بزروعها وخيراتها ثم تنتشر في الأرض ما يدب من شتي أنواع الدواب بكل اختلافاتها ومنافعها ثم يأتي بالرياح وتصريفها بأن تهب مره من اليمين ومره من الشمال بما تحمله من البشري لك أيها المخلوق الضعيف سواء كانت باردة أو حارة رطبة أو جافة ثم إذا كانت رياحاً أو ريحاً ضارية فكل بفضل الله .

---

[1] سورة البقرة الآيات ١٦٤- ١٦٥ .

ثم يوجه الإنسان إلى النظر والتفكير في السحاب المسخر بين السماء والأرض أي المذلل بقدرة الله يسير حيث يريد الله ، وكل ذلك آلا تري أيها الإنسان دليلاً وبرهاناً علي عظمة الخلق التي تدل علي عظمة الخالق . ثم ذلك الإعجاز في رحمته بأن استطاعت الريح في هذه الواسعة وذلك بانتظامها واستقرارها بهذا الميزان الثابت المستقر . وكل هذه الآيات لا يدركها إلا من تفكر وتعقل في خلق الله. ثم انظر إلى هؤلاء الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم ويقدسونهم كحب هذا الخالق العظيم يا عجباً لهؤلاء ولكن الذين آمنوا أشد وأقوي حباً لله من غيرهم .

فويل للذين ظلموا حينما يرون العذاب المعد لهم يوم القيامة ثم ذلك التأكيد الشديد بعذاب الله لكل كافر عنيد ، وأن القدرة كلها للواحد الأحد ثم نجد الحذف الذي يوحي بعظمة الهول والعذاب وذلك في حذف جواب الشرط (وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) وتقديره لو رأى هؤلاء القوم ما لا يوصف من الهول والعذاب .

ولقد اشتملت كذلك الآية الأولى علي أسلوب إنكاري حيث بدأت الآية بأداة توكيد وختمت بأخرى وهذه الآيات رغم ظهورها وارتباط حياة الناس بها إلا أن عدم عملهم بمقتضى علمهم نزلوا منزلة المنكر، والمجاز في إخفاء صفة الكائن الحي علي الأرض وذلك عندما وصفت بالحياة عندما أنبتت ونضرت ومات عندما جف ما عليها من نبات ، ثم إسناد التسخير للسحاب حتى صار خادماً للكائنات الحية خدمة العبد لسيده، وتصوير من يحب المعبود وتمثيله بحب المؤمن لله، ثم ختم الآية الثانية بالتذييل الذي يوحي بما يشمل مضمون الآيتين جميعاً وهكذا أسلوب القران المعجز .

المباح والمحظور في الأكل والرزق :

لقد بين الله عز وجل للناس التوحيد ودلائله ثم بعد ذلك بين ما للمؤمنين المتقين من ثواب علي أعمالهم كما وضح ما للكافرين من عذاب اليم بما اقترفوه من ذنوب بسبب حججهم وكتمانهم للحقائق التي فضحهم بها القران الكريم ، ثم ذكر المولي عز وجل إنعامه علي جميع البشر دون تمييز بينهم من مؤمن وكافر ثم توجه إلى دعوة المؤمنين بشكره ثم بعد ذلك لابد من توضيح ما يأكلون من طيبات واجتناب ما حرمه من الخبائث وذلك ما نراه مفصلاً في الآيات التالية : قال تعالى: (يَأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ، إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ، وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ ، يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ، إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ، إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) .[1]

لقد بدأ المولى عز وجل خطابه عام لجميع البشر بأن يأكلوا مما في الأرض من حلال طيب غير ضار بهم ثم تأتى صيغة النهي وهو

---

[1] سورة البقرة الآيات من ١٦٨ ١٧٦ .

نهي حقيقي من المولي عز وجل بعدم اقتفاء وتتبع آثار الشيطان والاقتداء به فيما يزينه للخلق من المعاصي وهي إستعارة لطيفة وهي استعارة مكنية لأنه شبة الاقتداء بالشيطان وتتبع آثاره من الذي يتتبع غيره في الخطوات . وقال في تلخيص البيان: (وهي أبلغ عبارة عن التحذير من طاعته فيما يأمر به وقبول قوله فيما يدعو إلى فعله).[1]

ثم يأتي أسلوب القصر على ما يأمر به الشيطان وهو (إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ) وهنا يقصر الله تعالي الصفات التي يأمر بها الشيطان الإنسان ويأمرهم بالسوء والفحشاء وأن يقولوا علي الله ما لا يعلمون.

ثم يتوجه الخطاب إلى الذين يأمرهم الله بالوحدانية والرسالة الجديدة وهم المشركون وترك ما هم عليه من تيه وضلال وجهل وذلك في قوله تعالى: (قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) وإن كان هؤلاء الآباء سفهاء جهلة ، ثم يأتي الاستفهام في قوله تعالى: (أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ؟) وهنا الاستفهام يفيد الإنكار والتعجب والتهكم في هؤلاء القوم المعاندين المستكبرين في أنهم يتبعون ويقلدون آباءهم ولو كان هؤلاء الآباء جهلة ظالمين .

ثم يضرب الله المثل لهؤلاء الكفار الذين لا ينتفعون بالقرآن وهديه بل يقابلونه بالحجج الواهية كمثل الراعي الذي يصيح بغنمه ودوابه فهي تسمع صوتاً ولكنها لا تعيه أي أنها تسمع الصوت والنداء ولكنها لا تفهم المراد والمعنى لذا قال الله تعالى: (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) وهذا الأسلوب البياني لحال الذي يسمع ولا يعي وهو صمّ عن الحق وأخرس عن النطق بالحق وأعمى عن رؤية الحق لأن سمعه وأدركه ولا يهتدي فحاله حال

---

[1] تلخيص البيان للشريف الرضي ، ص ١١ .

الأصم والأبكم والأعمى، لأنه لا يستفيد مما يسمع ويبصر فشبههم بحال الأنعام السامعة التي لا تفقه ما يريده الراعي وهذه منقصة للإنسان الذي يعطل حواسه ويتمسك بالتفكير الأعمى والذي يدخله في نار جهنم خالداً مخلداً فيها .

ثم بعد ذلك يخصص المولى عز وجل الحديث والخطاب لمن هم أرفع من ذلك وهم المؤمنون الذين ينتفعون بالتوجيهات الإلهية لذا عناهم المولي عز وجل بأكل ما استطاب من الرزق الحلال والشكر بنعم الله التي لا تعد ولا تحصي وذلك في قوله تعالي : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[1] ونلاحظ هنا أسلوب القصر بتقديم ما حقه التأخير بقصر العبادة لله الواحد الأحد ﴿إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ .

ثم ينتقل المولي عز وجل إلى تعليم وإخبار الجماعة المؤمنة المخصصة بخطاب ما يحرم عليها من الأكل وذلك في قوله تعالي: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾.[2]

لقد عدد الله تعالي المحرمات لكي تجتنبها الأمة المؤمنة منها وذلك بأن قصرها بإنما لتحديدها وقصر التحريم علي هذه المحرمات وإذا نظرنا إلى هذه المحرمات لوجدناه تثير الاشمئزاز والتغزز للنفس السليمة التي ترفضها بطبيعتها وفطرتها لأن الميتة تتعفن وتجتمع فيها الميكروبات وكذلك الدم الذي يتخثر بمجرد تلامسه الهواء وهو محرم منذ بدء الخليقة حتى علي الأرض نفسها ، ثم لحم الخنزير الذي حرم واكتشف حديثاً إن في دمه وأمعائه دودة شديدة الخطورة وربما يكون

---

[1] سورة البقرة الآية ١٧٢ .

[2] سورة البقرة الآية ١٧٣ .

هناك دافع آخر غير ذلك بما يكتشف من التجارب العلمية التي لم تكتشف بعد ولكن القران الكريم يأتي بكل شئ مستقبلي لأن القران إعجازه في ثوابته وعمومه وأن الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة أما ما يصل إلية الإنسان في أبحاثه وتجاربه العلمية أيا كانت الأدوات المتاحة له فهي حقائق غير نهائية وهي تفيد الإنسان بحدود تجاربه وظروفها وأدواتها.

ثم يأتي القران بتحريم (وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ) أي ما توجه به صاحبه لغير الله لا لعلة فيه ولكن لأنه نافي لصحة التصور الذي وجه به لغير الله وقد حرص الإسلام أن يكون التوجه للمولي عز وجل لا لغيره .

ثم تأتي سماحة الإسلام التي تبيح المحظور وفق الحالة الإضطراريه وذلك لمصلحة الإنسان في البقاء .إذن فمن ألجأته الضرورة إلى ذلك بغير قصد الفساد وألا يتجاوز مقدار الحاجة فلا إثم عليه ثم تأكيد المغفرة والرحمة للعباد .

ونقف هنا علي تصوير حال الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويخفونه وذلك موجه لليهود وأهل الكتاب الذين أخفوا صفات الرسول الكريم وكتموها . لقد صورهم المولي عز وجل بأنهم استبدلوا الضلالة بالهدي والعذاب بالمغفرة وهي استعارة مكنية تبين هذا الشراء الخاسر الذي يشبه حال من يأكل النار ويصلي سعيراً وذلك لأنهم اشتروا به عرض الحياة الزائل الفاني وأكل النار يوم القيامة في مقابل كتمان الحق وهذا تصوير بديع لحال الذي يأكل الشي فإنه عند التحليل يصل إلى الأعضاء في الجسد كذلك حال الذي يأكل النار فسوف تفتت أعضاءه إرباً إربا وهذا تصوير شنيع مخيف لحال الذين يكتمون الحق ويوارونه خوفاً علي رياستهم من الزوال والذهاب وهذا من بديع جمال البيان في القرآن

الكريم ثم المجاز المرسل في قوله تعالي : (مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ) وذلك باعتبار ما يؤول إليه المال الحرام الذي يقضي بهم إلي النار خالدين فيها أبدا ،ثم يأتي التعجب من المولي عز وجل علي حالهم بقوله: (فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) أي ما أشد صبرهم في نار جهنم .

المدلول العام لهذه الآيات ينطبق علي أهل كل مله يكتمون الحق الذي يعلمونه لهذا صور القران الكريم حصاد عملهم في صورة مفزعة ، النار طعامهم ثم قطع الصلة بينهم وبين مصدر الرحمة والغفران كما يبدو واضحاً في الآية الكريمة :(وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).[1] أي لا يكلمهم كلام رضي كما يكلم المؤمنين ثم لا يزكيهم أي لا يطهرهم من دنس الجاهلية [2].

وخلاصة القول أن الوسطية في هذه الأمة أنهم يوازنون بين الروح والجسد ويحتفظون بالذي يتفق مع شعائر الله ومنهجه مما كانوا يمارسونه في الجاهلية ، وأنهم بنوا علي ما أمر الله به الرسل السابقين وأضافوا إليه ما كمل الله به إليهم دينهم وألزمهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واتباع ما أحله الله لهم وما حرمه عليهم من الطيبات والتقيد بذلك في سبيل مرضاة الله واتباع منهجه السليم القويم واتباع سنة نبيه الكريم عليه أفضل الصلوات وأتمها والذي قام بنشر رسالة الإسلام وتكميل دين الله الواحد الأحد بقوله تعالي : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا).[3]

---

[1] سورة البقرة الآية ١٧٤ .

[2] صفوة التفسير لمحمد علي الصابوني ص ١٠٠ ١١٥ ، التفسير العظيم لابن كثير ص ٢٠٠ ٢٢٠.

[3] سورة المائدة الآية ٣.

المبحث الثالث

الإسلام ونظم الحياة الاجتماعية

أوجه البر :

ننتقل في هذا القسم إلى الأحكام التشريعية الفرعية، وذلك عندما اختلف أهل الكتاب في دينهم فصاروا في شقاق بعيد ومن أسباب هذا الشقاق تحويل القبلة إذ صاحبه كثيرٌ من الجدل حتى أنكروا علي المسلمين التحول إلى استقبال الكعبة المشرفة ثم ادعي كل من اليهود والنصارى أن الهدى مقصور علي قبلته لذا جاء الرد من المولي عز وجل وهو الرد الفاصل الذي يحمل في طياته الوحدانية في كل فعل وعمل والتوجه الخالص لوجه الله تعالي بالعبادة لا يرتبط بان يتوجه الإنسان إلى جهة معينة سواء المشرق أو المغرب ولكن ذلك يحدث بطاعة الله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه بالإيمان الصادق وذلك ما سوف نجده في الآيات البينات الذي اشتمل عليها هذا الجزء من السورة وذلك في قوله تعالي: (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ).[1] هذه الآية قد اشتملت علي كل التصورات الصحيحة للقواعد الإيمانية في سلوك الأفراد والجماعات فهي توضح شتي أوجه المعاملات الصحيحة .

---

[1] سورة البقرة الآية ١٧٧ .

وأن فعل الخير والعمل الصالح ليس مقصورا في أن يتوجه المرء في صلاته إلى جهة المشرق أو المغرب ولكن الخير في الإيمان الصادق التي تنبع منه هذه الحركات والأفعال وتوجيهها للواحد القهار .

فهنا نري أن الإنسان قد تحرر بوحدة الإله من عبودية الشرك وكانت هذه نقطة تحول في تاريخ البشرية فقد تساوت النفوس ثم تساوت الأهداف إلى المقصد الواحد وهو الله سبحانه وتعالي . بعد أن كانت مفككة الأوصال مفرقة المقاصد تغرق في الضلال والتيه وكل ضعيف يخضع لمن هو أقوي منه ولكن بتوحيد المعبود تتوحد الاتجاهات وتنمحي التفرقة حيث لا فرق بين الأفراد إلا بالإيمان والتقوى لذا نزلت الآية لتبين إن عمل الخير ليس محصوراً في أن يتوجه الإنسان بصلاته جهة المشرق أو المغرب ولكن هذا البر وهذا العمل الصالح هو الإيمان الكامل الذي ينتج من مجموعة أشياء وهي أن تؤمن بالله واليوم الآخر والرسل والأنبياء والكتب السماوية وكل ذلك يتولد من الإيمان الكامل الموجه لجهة واحدة وهو الله الواحد الأحد وذلك هو الإيمان الصادق وأنه أن يؤمن الإنسان باليوم الآخر وما فيه من جزاء ثم الإيمان بالملائكة يدل علي الإيمان بالغيبيات ثم الإيمان بالرسل وما أنزل لهم من كتب وما تضمنته من إرشادات للبشرية وذلك ليكون لها ميزان ثابت في الحياة والمعاملات ، وهذا يفرق بين الإنسان وسائر الحيوان .

ثم بعد ذلك أراد المولي عز وجل أن يعتق الإنسان من حب المال وحب النفس ويحرره من عبودية المال ويخلصه من الشح والخوف ثم ليحرر النفوس من الشهوات ثم ليخرجه من محيط نفسه إلي محيط الجماعة ويعلمه كيفية المعاملات بين الأفراد والأسر ثم الجماعات ثم تعليمه كيفية الإنفاق بعد أن حرره من قيود حب المال حيث أن المالك

الحقيقي للمال والخير هو الله الذي أعطاه لفئة دون الأخرى لمعرفة دواخلهم وامتحان لهم في الحياة ، فإذا كان الشخص غني فالمال امتحان له في كيفية التصرف فيه وإن كان فقيراً فالحرمان امتحان له في صبره علي الفاقة ، ثم يتجه الإسلام إلي كيفية العطاء فنظر إلي المحبة في ذوي القربى أولي بالمعروف لتحسين وشائج القربى بين الأسر لأن الأسرة هي النواة الحقيقية للجماعة .

وقد نلاحظ الترتيب في العطاء وذلك لحكمة بالغة في أحكامه وشرائعه إذ أعطى بعد ذلك اليتيم ليتم التكافل في الجماعة والتعويض لهؤلاء اليتامى عن فقد ذويهم وإكراماً للأم الأرملة من تشرد صغارها ، ثم بعد ذلك توجه للمسكين الذي لا مال له وهنا يظهر التكافل بين الجماعات لإعانة المسكين وسد نقصه حتى لا يقع في مواقع الزلل ثم ابن السبيل وهو المسافر الذي انقطع عن أهله وماله وجه الإسلام إلي مساعدته ، ثم هؤلاء الذين يسألون حاجتهم حتى يكفوا عن السؤال الذي يكرهه الإسلام ، ثم تخليص الأسري وهم الذين في الرقاب . وهنا نجد الاستعارة اللطيفة في قوله تعالي :(وَفِي الرِّقَابِ) وهي جمع رقبة وفيها إيجاز بالحذف أي وفي فك الرقاب يعني فداء الأسري أطلق الجزء وأراد الكل وهو النفس وهؤلاء الأسري هم في رقاب من يتولاهم فأمر الإسلام بفكهم وعتقهم ويتحقق هذا النص إما بشراء الرقيق وعتقه أو ان يؤدوا له ما كان عليه سيده في نظير عتقه والإسلام يأمر بتحرير الرقيق في اللحظة التي يتطلب فيها العتق حتى يكون فرداً في المجتمع المسلم يعامل كباقي الأفراد يحاسب بما له وما عليه)[1] .

---

[1] صفوة التفسير محمد علي الصابوني ص ١١٥ - ١٣٠ ، تفسير ابن كثير ص ١٢٠ ٢٣٠ بتصرف .

ثم يتوجه السياق بعد ذلك إلي أهم ركنين من أركان الإسلام ألا وهم الصلاة والزكاة وذلك من أوجه البر فمن صلي مخلصاً في صلاته للمولي عز وجل بكل ما في الصلاة من قيام وركوع وجلوس وسجود وهي الحركات الظاهرة للبدن ثم القراءة والتسبيح وهي نظافة روحية ثم النظافة الجسدية بالوضوء وعند توجيه كل تلك الحركات سواء أن كانت جسدية أو روحية موجهة خالصة لله فهي من اوجه البر .

ثم الزكاة فأنها طهارة للمال حيث ينفقه الغني وهو حق معلوم من ماله ينفقه للفقراء من حيث أن أصل المال لله الواحد الأحد . وما العبد إلا أداة لتصريف مال الله وبذلك يكون تكافل المجتمع .

ثم تتوجه الآية الكريمة إلي نوع آخر من أنواع البر ألا وهو الوفاء بالعهد وهو سمة من سمات القرآن التي تتكرر كثيراً ، فالوفاء بالعهد يكون للأصدقاء وللأعداء علي السواء وهذه من القيم التي أوجدها الإسلام وليس في دين سواه .

ثم يأتي ذكر الذين يصبرون علي المصائب آيا كان نوعها وأتي بلفظ (الصابرين) في الآية علي أنه منصوب علي الاختصاص لأن الله خص هؤلاء الصابرين بالبر والتقدير (أخص الصابرين) ولذا جاءت منصوبة بغير الصفات التي وردت في الآية الكريمة بأنها مرفوعة وهي الأصل بها الرفع أي خصص المولي عز وجل هؤلاء الصابرين الذين يصبرون علي المكاره والشدائد في سبيل الله والدفاع عن حقوقه .

وفي ختام الآية نجد تلك الإشارة إلي أولئك الذين صدقوا الله في إيمانهم ثم صدقوه في إخلاصهم وصدقوه في أفعالهم ثم جاء الخبر في الجملة فعلاً ماضياً لإفادة التحقيق لأن ذلك وقع منهم واستقر ثم جاء بخبر الجملة الثانية وهو جملة اسمية (وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) والجملة الاسمية تفيد

ثبات الحال وأن أحوالهم هذه لم تتجدد وأصبحت سجية فيهم وخصلة من خصالهم .

وفي الآية ثناء علي هؤلاء الأبرار وما سيلاقونه يوم القيامة من حسن الجزاء وحسن الثواب . لقد اشتملت هذه الآية علي كل أنواع البر والخير في المعاملات الإنسانية التي يطلبها الإسلام في الجماعة المسلمة وفي هذه الأمة الوسط بالرغم من قصر الآية إلا أنها تحمل معاني كثيرة في طياتها وذلك من إعجاز القران وبلاغته .

كيفية المعاملات في المجتمع المسلم :

لقد خصص المولي عز وجل في هذه الآيات للجماعة المؤمنة وكيفية التعامل بين أفرادها لتوضيح وتصحيح المعاملات التي كانت سائدة في السابق ولتنفيذ الأحكام الجديدة التي تتطلب الموقف والدور القيادي الجديد وبيان الأحكام التي خفيت عنهم وكانوا يمارسونها في جاهليتهم ثم أن الحياة تتطلب أحكاماً تواكبها وتوافقها فسبب نزول هذه الآيات كما قال قتاده : (أن أهل الجاهلية كان فيهم بغي وطاعة للشيطان، وكان فيهم قبيلة بغت على أخرى قتل عبدهم عبد آخر قالوا لن نقتل به إلا حراً ، وإذا قتلت إمراة منهم إمراة من آخرين قالوا لن نقتل بها إلا رجلاً)[1] فانزل الله سبحانه وتعالي : (الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى) .[2]

لذا نجد في هذه الآيات ما يشفي الغليل من التوضيح والبيان وذلك في قوله تعالي : (يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ، كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ، فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ، فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) .[3]

شملت هذه الآيات العادات الاجتماعية التي كانت سائدة من جانب والعبادات المفروضة من جانب آخر وكل ذلك مرتبط برباط واحد هو

---

[1] صفوة التفسير ، محمد علي الصابوني ، الدر المنثور للسيوطي ص ١ - ١٧٣ .

[2] سورة البقرة الآية ١٧٨ .

[3] سورة البقرة الآيات ١٧٨ ١٨٢ .

تقوي الله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ولذلك بدأت الآية بالقصاص وفرضه علي الجماعة المؤمنة الذي خصص لها هذا الخطاب وهنا تتجلى رحمته في العقوبة وتصحيح ما كانوا يفعلونه بأن جعل لهم العقوبة بالمثل والمساواة في ذلك فمن قتل حراً يقتل حراً ومن قتل عبداً يقتل عبداً وإن قتلت امرأة تقتل امرأة فلا تعتدوا ولا تقتلوا غير الجاني فإن أخذ بغير ذلك في القصاص فهو ظلم واعتداء ثم يأتي قوله تعالي : (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .[1]

ثم يتغير السياق من الأمر بتنفيذ القصاص في هذا الجزء إلي تبيان الحكمة والتدبير في التنفيذ والخيار في ذلك بعد التروي فإن حصل العفو فالدية لاستبقاء الأرواح والنفوس عند التراضي (فالفاء) هنا تفيد التراخي في الأمر وهو ما يتطلبه السياق ثم يأتي الترتيب في ذلك فالمعروف مطلوب في المعاملة بأن يطالب بالدية دون العنف لأن الإحسان يسقط العنف وتستبدل الروح بالفداء وهو الدية وهو المطلوب في معاملة الإسلام السمحة ونري ذلك أن الإسلام جمع في عقوبة القتل بين العدل والرحمة فجعل القصاص حقاً لأولياء المقتول إذا طالبوا به وشرع الدية إذا سقط القصاص وهنا تتبلور الدعوة إلي التسامي في حدود التطوع لا حدود الفرض لكي يحبب عدم زهق الأرواح .ثم بعد ذلك من يعتدي ويظلم فله نار جهنم خالداً مخلداً فيها ثم نأتي إلي الآية في قوله تعالي : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) .[2] أي لكم يا أولي العقول فيما

---

[1] سورة البقرة الآية ١٧٨ .

[2] سورة البقرة الآية ١٧٩ .

شرعت من القصاص حياة والحياة هي أن الإنسان إذا علم أنه إذا قتل نفساً قتل بها فيرتدع ويخاف ولا يقدم علي جريمة القتل فيحفظ حياته وحياة من أراد قتله وبذلك تصان الدماء وتحقن ، وبذا تحفظ حياة الإنسان وفي قوله تعالي : (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) نلمس في هذه الآية نابع الرحمة التي يريدها الله من عباده تجاه بعضهم البعض فالأسلوب أسلوب ترجي لكني يصلوا إلي التقوى المنشودة التي سوف تخرجهم من المهالك بسبب الحكمة والتروي والتقوى لأن الموقف موقف رحمة من العبد إلي أخيه فنجد المولي عز وجل بعدما فرض وأمر بالقصاص ولكن رحمته شملت العباد بعد أن كان الموقف موقف ردع وأمر للترهيب والتنفير من عقوبة القتل ثم ما برح أن انفرج الأمر والفرض عندما يقع الأمر فلابد للتروي للخروج من التهلكة والعداوة فأصبح الأمر مربوطاً بالعباد ثم بدأه بذكر الأخوة وهي أخوة الإيمان وناداهم بذلك لكسر نوازع الشر في الإنسان ثم بعد ذلك فاليتبع بالمعروف لإيتاء النتيجة المرجوة وذلك كله من بيان وإعجاز القران المتمثلة في رحمته وشفقته بالعباد .

لابد أن نقف علي الأسلوب البلاغي المعجز في قوله تعالي: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) ونوازن بينها وبين أوجز أسلوب قالته العرب في هذا المعني وهو قولهم (القتل أنفي للقتل) بالأتي :

١/ من ناحية الكم الصياغ القرآني أوجز من الصّياغ العربي .

٢/ إن الصياغ القرآني يؤدي المعني المقصود دون حاجة إلي احتراز بخلاف الصياغ العربي لانه يحتاج إلي تقييد القتل .

٣/ إن الصياغ القرآني يحتوي علي مجال الطباق بخلاف العربي .

٤/ إن الصياغ القرآني خلي من التكرار الذي اشـــتمل عليـــه الصيـــاغ العربي .

ولا غرابه في ذلك فهذا أسلوب القران المعجز وهـــذه الجوانـــب الرائعة في إعجاز القران هي التي دفعتني إلي البحث في هذا الموضـــوع دون غيره .

ثم ننتقل إلي التنظيم الاجتماعي الذي سيصير عند موت الفرد وما قننه الإسلام في ذلك بقوله تعالي : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾.(١)

ومن مظاهر التكافل الإسلامي الممتد فرض الوصية للفـــرد عنـــد إشرافه علي الموت بأن يكتب وصيته ثم حددت وفصلت في الآيات فبـــدأ المولي عز وجل الوصية بالأهم ثم المهم فبدأها بالوالدين لأنـــهما أحـــق بذلك ثم الاقربين ونجد هذه الآية قد أعقبتها آية أخرى وهي آية المـــيراث وحددت ما جاء في الآية الوصية وبهذا نجد القرآن يـــنزل بـــالعموم ثـــم يفصل وذلك ما نراه واضحاً في هاتين الآيتين فعرف ما للوالديـــن ومـــا للأقرباء ، والغرض الحقيقي الذي يهمنا هو أن المولى عز وجل جعـــل هذا التكافل يستمر باستمرار حياة الأفرد حتى لو مات الكفيل فإن كفالتـــه تمتد في ماله لهؤلاء المكفولين وذلك من سماحة الإسلام لتطييب النفـــوس بذلك وتقوية لأواصر القربى وربطها من التفكك وذلك من إعجاز القـــرآن الذي شرك كل الأسرة في مال الفرد الواحد وتفصيله بما يستحقون كـــل حسب صلة قرابته وذلك من أوجه التكافل والبر الاجتماعي الإسلامي .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٠ .

ثم يتجه الخطاب بعد ذلك لمن يبدلون في الوصية وكيفية العقاب للترهيب من ذلك ، فمن بدل في تلك الوصية فإنه مأثوم وأن الله عليم بما يفعلونه ثم أتي بصيغة المبالغة (سَمِيعٌ عَلِيمٌ) لان سمع الله ليس كسمعنا وعلمه ليس كعلمنا في المحدودية ثم أتي بالسياق قوياً له وقعه في النفوس للترهيب من التبديل والتحريف .

ثم ينفرج السياق للذي يظن أو يعلم من الموصي ميلاً عن الحق بالخطأ أو ميلاً عن الحق بالعمد فأصلح بين الموصي والمُوصي له فلا ذنب عليه بهذا التبديل وإن الله شديد الرحمة واسع المغفرة لمن يبدل . وان الحرف (إن) في هذا السياق للتأكيد بأن الله شديد العفو والغفران ورحيم بالعباد.

لقد بين المولي عز وجل في هذه الآيات أوجه البر التي وجه بها الإنسان المؤمن أن يكون صادقاً في إيمانه ،وصدق الإيمان ينتج عنه صدق العمل والفعل وأن الفرد يتوجه بكامله للمولي عز وجل وأن الإنسان عندما يتوجه بذلك لمعبود واحد فإنه بذلك تتم العدالة وتتم الوحدة في الصفوف وعدم الشقاق كما حدث في الأمة السابقة لذا أراد الله سبحانه وتعالي تعليم هذه الأمة الوسط بكل هذه التوجيهات لأنها الأمة العدول التي سوف تقوم بالدور الذي سوف يسند إليها ، ثم نجد المولي عز وجل قد نظم لها الحياة بكاملها من معاملات وخلافة وذلك كله في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه ،فقد شملت الرسالة المحمدية كل أوجه الحياة للإنسان بكل جوانبها حتى مفارقة الفرد للحياة فإن هناك تنظيمات في المواريث تجعل الحياة آمنة خالية من شرور النفوس البشرية فكل حسب حقه الذي أوجب له وكل ذلك ما هو إلا أن تكون

خاصية هذه الأمة الوسطية لأنها أمة القيادة والرياسة والقدوة في الأمم وذلك لاختيار الله سبحانه وتعالي لها .

نختم هذا المشهد بالملاحظات البلاغية الآتية :

أنظر إلي قوله تعالي: (إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ) ومدي التشخيص في إسناد الحضور إلي الموت وتنكير (خَيْرًا) في قوله تعالي: (إِن تَرَكَ خَيْرًا) وما يوحي به هذا التنكير من التعظيم ولأنك في عظمة هذا الموقف وهو يمثل آخر لحظة في مرحلة الرحلة الطويلة في هذه الحياة ودلالتها علي صلة الفرد بربه فيها . والقصر في قوله تعالي : (فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ) ودلالة الآية علي تبرئة الموصي وتطمينه بأنه قد أدي ما عليه .

ونقف في قوله تعالي:(فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا) ، هذا التصوير الحركي وتجسيد لحركة النفوس وميلها عن الصواب .ولا يفوتني دلالة التذييل الذي ختمت به الآيتان واحتوائه علي مضمون كل منهما بقوله تعالي:(إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) وقوله:(إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) وقوة المعني الذي شمله التوكيد وصيغ المبالغة فعول فعيل .

سبحان الله القوي العزيز وكلامه المعجز الجليل .

الخاتمة

وفي نهاية مسيرة البحث قد توصلت إلي النتائج الآتية : حيث أنني استعطت أن أربط بين الأسلوب المجازي في البلاغة العربية ، والتعبير القرآني في الأجزاء الأولي من القران الكريم .

واستطعت أيضاً أن أوضح تأثير الأسلوب البياني في المعجز أسلوب القران المعجز ثم تأثير الأسلوب البياني في قوة معاني القران الكريم. بالإضافة إلي مساهمته في توضيح تطور الدرس البلاغي عامة والبياني خاصة كما فعل غيري من العلماء الأجلاء .

التوصيات :

أوصي بالحاجة الماسة للربط بين الدرس البلاغي والأساليب المعجزة في القران الكريم . وأوصي بأهمية إحياء القاعدة البلاغية التي ظلت معزولة عن الأساليب الفصحية في كتاب المفتاح ومدرسته إلي اكتشافها حية في الأساليب العربية الفصحية في إعجاز القران وغيره من إبداع المبدعين .

ملخص البحث

هذه دراسة تطبيقية للمجاز الفني في الجزئيين الأولين وأوائل الثالث من القرآن الكريم وجاءت في ثلاثة فصول ولكل فصل منها ثلاثة مباحث .

الفصل الأول :

تطور علم البيان

١/ المبحث الأول :

تطور علم البيان عند البلاغيين :

ويشتمل علي تدرج علم البيان عند البلاغيين من العصر الثاني الهجري الذي تصدره الجاحظ إلي أواخر القرن السادس وبداية القرن السابع ، وبينت كيف ساهم هؤلاء العمالقة في تطور علم البيان .

٢/ المبحث الثاني :

تطور مدلول المجاز :

تناولت فيه المدلول اللغوي للمجاز عند علماء اللغة ثم تحدث عن المفهوم الفني عند علماء البلاغة للمجاز وصلة الربط الوثيقة بين علماء البلاغة وعلماء اللغة في مدلول المجاز .

٣/ المبحث الثالث :

مدلول المجاز في مدرسة السكاكي :

لقد قام السكاكي بتعريف علم البيان وعلم المعاني ثم تحدث عن المجاز وأنواعه وما يتفرع منه ثم تحدث عن المجاز العقلي واللغوي وتحدث عن الاستعارة باستفاضة مستعرضا كل أنواعها.

الفصل الثاني :

الصراع بين الإيمان والكفر

المبحث الأول :

بين المسلمين والمنافقين :

ونجد فيه أوصاف المسلمون المهتدين وحالهم من إتباع أوامر وإجتناب نواهي ثم الجانب المعاكس لهم وهو حال المنافقين الذين يبطنون عكس ما يظهرون .

المبحث الثاني :

المشاهد القصصية والأمثال

ويشتمل علي عرض بعض القصص والأمثال وذلك لإتخاذ العظة والعبرة منها .

المبحث الثالث :

بين المؤمنين واليهود

وبينت هنا ما يكشفه المولي عزّ وجل للجماعة المؤمنة ويخبرهم بأساليب وكيد بني إسرائيل علي مدي التاريخ لكيلا تنخدع هذه الأمة بأقوالهم ودعاويهم .

الفصل الثالث :

الأمة الوسط

المبحث الأول :

خصائص الأمة الوسط

كيفية استعداد هذه الأمة لبذل التضحيات ، بالصبر والصلاة لتكاليف هذا الدور لإقرار منهج الله في الأنفس وإقراره في الأرض بين الناس ولتحقيق الكيان المستقل وتحديد الشخصية المسلمة لانفرادها بالشعائر والممارسات لتكوين الوسطية .

المبحث الثاني :

القواعد التي يقوم عليها التصور الإيماني

وفي هذا الجزء من السورة نجد تصحيح عدد من الشعائر والقواعد التي يقوم عليها الإسلام لأن جزءا منها كان سائدا في الجاهلية لدفع حرج المؤمنين .

ثم توضيح المباح والمحظور في الأكل والرزق و إجتناب ما حرمه الله من الخبائث كما فصل في القرآن الكريم .

المبحث الثالث :

الإسلام ونظم الحياة الاجتماعية :

وهذا القسم تخصص في الأحكام التشريعية الفرعية وذلك بالتصورات الصحيحة والقواعد الإيمانية التي تتجه كلها لعبادة الإله الواحد الأحد والإيمان بكتبه ورسله واليوم الآخر .

ثم توضيح شتي أنواع المعاملات الصحيحة بين الأفراد والجماعات وأوجه البر في المجتمع المسلم التي يتطلبها الدور القيادي الجديد .

Chapter I: characteristics of such middle nation and its performing the sharia rituals and its being endurant and patient in preparation to play such role and have such eminant position.

Chapter II: correction of various bases and rituals upon which faith perspective is based.permitted and prohibited type of food are also tackled in this chapter.

Chapter III: Islam and social systems:

Where legislative sub rules based on correct perspectives and faith based which represent directives to worship only the God, are discussed. As well, some correct transactions and treatment that shall dominate the Muslim community are shown out, as some aspects of righteousness required by such community to play the new leading role.

الفهرست

الصفحة	رقم الصفحة
الاهداء	أ
شكر	ب
المقدمة	ج
الفصل الأول: تطور علم البيان	–
المبحث الأول : تطور مدلول البيان عند البلاغيين	٧
المبحث الثاني : تطور مدلول المجاز	–
مدلول المجاز عند علماء اللغة	١٦
المدلول الفني للمجاز عند البلاغيين	١٨
المبحث الثالث : مدلول المجاز في مدرسة السكاكي	٢٧
المجاز العقلي	٢٩
الفصل الثاني : الصراع بين الإيمان والكفر	٣١
مضمون سورة البقر	٣٢
المبحث الاول : بين المسلمين والمنافقين	٣٣
المبحث الثاني : المشاهد القصصية والأمثال	٤٨
المشهد الأول: الأمثال	٤٨
المشهد الثاني : القصص	٥٣
المبحث الثالث : بين المؤمنين واليهود	٦٦
موقف اليهود من انبيائهم	٧٨
الفصل الثالث: الأمة الوسط	–
المبحث الأول: خصائص الأمة الوسط	٨٥
حادثة تحويل القبلة وملابساتها	٨٥
متطلبات التكاليف	٩٢
المبحث الثاني: القواعد التي يقوم عليها التصور الايماني	٩٩
المباح والمحظور في الأكل والرزق	١٠٦

المبحث الثالث : الاسلام ونظم الحياة الاجتماعية ١١١
اوجه البر ١١١
كيفية المعاملات في المجتمع المسلم ١١٦
الخاتمة ١٢٢
ملخص البحث ١٢٣
ABSTRACT ١٢٤
المراجع ١٢٦

المـــراجـــع :

اســـــم المرجـــع	المـــؤلـــف
١- أسرار البلاغة	لعبد القاهر الجرجاني تحقيق محمود محمد شاكر مطبعة المدني بالقاهرة ، دار المدني بجدة.
٢-الإيجاز في شرح الإعجاز	تحقيق الشيخ المراغي ، المطبعة العربية
٣- البديع	لأبن المعتز ، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس اغناطيوس كراتشفوفسكي
٤- البلاغة تطور وتاريخ	شوقي ضيف
٥- بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ	د . فتحي عامر
٦- البلاغة الواضحة	على الجارم ، التربية والتوجيه .
٧- بيان إعجاز القرآن	للخطابي تحقيق محمد خلف الله و د. محمد زغلول سلام .
٨- البيان والتبيين	للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون
٩- تأويل مشكل القرآن	لأبن قتيبه ، تحقيق السيد/ احمد صقر ، مكتبة دار الذات
١٠- تفسير القرآن العظيم	إسماعيل بن كثير القرشي ، الجزء الأول ، دار المعرفـــة للطباعـــة والنشر بيروت ، لبنان .
١١- تاج التفاسير	للشريف محمد عثمان بن السيد أبي بكر الميرغني تحقيق الأســـتاذ/ محمد العبيد الجامعة الإسلامية أمد رمان والأستاذ/ يوسف الـــترابي الجامعة الإسلامية أمد رمان الأستاذ/ محمد عبد الله العمرابي معـــهد أمد رمان العلمي .
١٢- الترجمة	جامعة الخرطوم قسم الترجمة والتعريب ، الأســـتاذ/ عبـــد المنعـــم الشاذلي .
١٣- التصوير الفني في القرآن	سيد قطب ، طبع بدار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي.
١٤- تلخيص البيان	للشريف الرضي
١٥- حياة الحيوان الكبرى	كمال الدين الدميري
١٦- الدر المنثور	للسيوطي ، تحقيق محمد على الصابوني
١٧- رسالة النكت في إعجاز القرآن الكريم	للرماني ،وهي ثلاثة رسائل في الإعجاز تحقيق الأستاذ محمد علـــى خلف الله والدكتور زغلول سلام ، مطبعة دار المعارف
١٨- الجواهر في تفسير القرآن الكريم	الشيخ الطنطاوي جوهري
١٩-رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين	الإمام أبي زكريا يحي بن شرف النووي

٢٠- شروح التلخيص — لسعد الدين التفتازاني

٢١- صفوة التفاسير — محمد علي الصابوني ،أستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القري مكة المكرمة

٢٢- صحيح مسلم — للحافظ المنذري ، تحقيق محمد ناصر الدين الالباني ،دمشق المحرم ١٣٨٩هـ .

٢٣- صحيح مسلم — أبي الحسن مسلم أبن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري

٢٤- الصناعتين (الكتابة والشعر) — لأبى هلال العسكري، تحقيق علي البيجاوي ومحمد ابو الفضل.

٢٥- العمدة — لابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد بن محي الدين عبد الحميد .

٢٦- في ظلال القرآن — سيد قطب ،الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، طبع بدار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي .

٢٧- كتاب كشف الغمة لجميع الأمة — الأمام عبد الوهاب الشعراني ، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني .

٢٨- الكشاف — للزمخشري

٢٩- مختار الصحاح — محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي عني بترتيب هذه النسخة محمود خاطر بك بالمطبعة الميريه ببولاق .

٣٠- مختصر التفسير — لابن كثير ،دار المعرفة للطباعة والنشر .

٣١- مختصر تفسير الطبري — تحقيق دكتور محمد على الصابوني والدكتور صالح أحمد رضا .

٣٢- مفتاح العلوم — للسكاكي منشورات المكتبة العلمية الجديدة ببيروت

٣٣- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي — المجلد الرابع ، عن مسند الدرامي وموطأ مالك ، مسند أحمد بن حنبل ، مطبعة برلين ، مدينة ليدن ١٩٦٥.

٣٤- الموطأ — الإمام مالك رواية يحيى بن يحيى الليثي ، شرح وتعليق احمد راتب عرموش ، دار النفائس ــ بيروت ــ لبنان ، الطبعة الاولي ١٣٩٠هـ ــ ١٩٧١م .

٣٥- نقد الشعر — لقدامه بن جعفر

٣٦- النكت في إعجاز القرآن — للرماني ، تحقيق دّ. محمد خلف الله د. محمد زغلول سلام.

٣٧- القاموس المحيط — للفيروز ابادي ، الطبعة الثالثة بالمطبعة الميرية.

٣٨- لسان العرب — الامام أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، الطبعة الأولى بالمطبعة الميريه ببولاق.